الأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول

(١٣٢- ٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٦م)

☜ إعداد

دكتور/ امام الشافعى محمد حمودى

أستاذ مساعد قسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بأسيوط



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد ،،،

فتعد الأحجار الكريمة من الأشياء الفريدة فى الكون التى أبدع الخالق سبحانه وتعالى فى صنعها وجمالها وتعدد ألوانها وأشكالها ، وهي من الأشياء القليلة التى ترنو كل نفس بشرية إلى الحصول عليها ، سواء لجمالها ورونقها ، أو لارتفاع أسعارها نظراً لندرتها وخفة حملها .

وقد بلغ من اهتمام العلماء المسلمين بالجواهر والأحجار الكريمة فى مختلف العصور التاريخية ، أن ألفوا فيها كتباً كثيرة ، بينوا فيها خصائصها وأماكن تواجدها ، وأسعارها ، بل وجعلوا لها علماً قائماً بذاته هو علم الجواهر ، هذا على الصعيد العلمي ، أم على الجانب العملي ، فقد كانت الأحجار الكريمة قبل الإسلام قنية الأكاسرة فى بلاد فارس ، ثم اتسع الاهتمام بها فى أيام خلفاء بني أمية فامتلأت بها خزائنهم ، ولما جاء بنو العباس ، عملوا على زيادة الاهتمام بالأحجار الكريمة ، حيث نمت حركة التجارة خاصة فى العصر العباسي الأول، فأقبل المسلمون على البحث عن هذه الأحجار واستخراجها من بحار وجبال بلدان الخلافة العباسية ، كما قاموا باستيراد بعضها لسد حاجة الخلفاء والأمراء المتزايدة من هذه الأحجار الكريمة .

هذا ، وإذا كان المجد مبنياً على التفرد ، فإن خلفاء بني العباس ، كانوا حريصون على بناء هذا المجد بكل صورة ، وذلك من خلال عدة وسائل ، كان من أهمها اقتناء كل غال وثمين من هذه الأحجار الكريمة التى لم يوجد مثلها عند غيرهم من أهل عصرهم ، فكان عندهم على سبيل المثال ما يعرف بالدرة اليتيمة التى يعبر اسمها عن مقدار ثمنها .

وقد دفعني إلى الكتابة عن هذا الموضوع " الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول " ما طالعته على الشبكة الدولية العنكبوتية " الإنترنت " من أن اليهود يسيطرون اليوم

على أكثر من ٨٠% من تجارة الماس العالمية وهو من الأحجار الكريمة التى خف وزنها وارتفع ثمنها ، فهرعت إلى المصادر التاريخية باحثاً عن دور للمسلمين فى تجارة الأحجار الكريمة ولو صغير ، فوجدت أنهم كانوا رواداً لكل الدنيا استخراج وصناعة وتجارة الأحجار الكريمة عموماً ، خاصة فى عصر النهضة الاقتصادية التى شهدتها بلدان العالم الإسلامي فى العصر العباسي الأول .

وقد تناولت هذه الدراسة الحديث عن مفهوم الجواهر والأحجار الكريمة وما يتعلق بهما من ألفاظ ، ثم الأسماء المتعددة للأحجار الكريمة وأنواعها المتعارف عليها فى العصر العباسي الأول ، وكذلك أماكن تواجد هذه الأحجار فى بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، والطرق المتعددة لاستخراج هذه الأحجار سواء كانت بحرية أم برية ، ثم ألوانها وأوزانها المختلفة ، وطبقة التجار العاملين فيها ، ولم تغفل الدراسة أيضاً ذكر أسباب اقتناء هذه الأحجار وفئات مقتنييها من الخلفاء والأمراء والعامة من الناس ، وختمت هذه الدراسة بالحديث عن دور الأحجار الكريمة فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسي الأول .

أخيراً ، أرجو من الله العلي القدير أن يستفيد من هذا البحث كل من يقرأه ، وأن يكون خطوة متواضعة فى تذكير المسلمين باستعادة مجدهم الغابر فى ريادة ما خف وزنه وارتفع ثمنه .

والله من وراء القصد والسبيل

بين الجواهر والأحجار الكريمة

وضع المتقدمون فى الجواهر كتباً كثيرة بينوا فيها أثمانها ، ومحمود صفاقها ، وأماكن معادنها ، وكيفية استخراجها [١] ، وأوزانها وأسعارها واستعمالاتها،لكن من الأهمية بمكان قبل الحديث عن الجواهر والأحجار الكريمة ، أن نبين ماهية هذه الجواهر والأحجار الكريمة والألفاظ ذات الدلالات المشتركة بينهما .

يقول ابن منظور [٢] : " الحجر : الصخرة ، والجمع فى القلة أحجار ، وفى الكثرة حجار وحجارة ... والحجران الذهب والفضة ، ويقال للرجل إذا كثر ماله وعدده ، قد انتشرت حجرته " ، والحجر يراد به عند الإطلاق جواهر كل جسم جماد . [٣]

أما وصف هذه الأحجار بالكريمة فمن الكرامة ، اسم للإكرام ، وهو إيصال الشئ الكريم ، أى النفيس إلى المكرم [٤] ، أى أنها وصفت بالكريمة من باب إكرام الناس لها ، وذلك بدفع الأموال الطائلة من أجل الحصول عليها ، وبحفظها فى أماكن آمنة .

ومن الألفاظ التى تطلق على هذه الأحجار لفظ الأعلاق النفيسة ، والأعلاق من العِلْق بالكسر ، وهو الشئ النفيس الذى يتعلق به صاحبه فلا يبرح عنه ، والشئ النفيس سمي به ؛ لأن النفوس تعلق به [٥] ، والنفيسة من النفيس ، والنفيس والمنفس المال الذى له قدر وخطر ، ثم عمّ فقيل : كل شئ له خطر وقدر فهو نفيس [٦] ، فالنفيس الخطير الجليل . [٧]

---

(١) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ط ــ مطبعة المؤيد سنة ١٣١٨هــ . ص١٢ بتصرف بسيط .

(٢) لسان العرب : ط ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧م . مادة حجر .

(٣) المغربي : قطف الأزهار فى خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار . تحقيق / بروين بدري توفيق. ط ــ خزانة التراث ــ بغداد ــ لم تذكر سنة الطبع . ص٥٦.

(٤) المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف . تحقيق د/ محمد رضوان الداية . ط ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هــ . جــ ١ ، ص٦٠١ .

(٥) المناوي : التعاريف . جــ١ ص٥٢٣ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب . مادة نفس .

(٧) المناوي : التعاريف . جــ١ ص٧٠٨ .

ويطلق على الأحجار الكريمة أيضاً لفظ الجواهر ، والجواهر : معروف ، الواحدة جوهرة ، والجوهر : كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ، وجوهر كل شئ ما خلقت عليه جبلته ، وقيل الجوهر فارسي معرب [١] . ومن المؤرخين المسلمين من يحصر لفظ الجوهر فى اللؤلؤ فقط ، من ذلك قول الغزولي [٢] : "الجوهر اسم عام يطلق على الكبير والصغير منه ــ أى اللؤلؤ ــ فما كان كبيراً فهو الدّر، وما كان صغيراً فهو اللؤلؤ " ، ويقول شيخ الربوة عن ذلك أيضاً [٣] : " اللؤلؤ معدن حيواني وهو الجوهر المختص بتسميته الجوهرية ، وما عداه فمن حيث عموم الجنس " .

ومن الألفاظ التى تطلق على الأحجار الكريمة لفظ العسجد ، ومع أنه يطلق فى الغالب على معدن الذهب ، إلا أنه اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت [٤] ، وتوصف هذه الجواهر أحياناً بلفظ الفريدة : وهي الجوهرة النفيسة كأنها مفردة فى نوعها ، والفرّاد صانعها [٥] ، كما يطلق على محترف حرفة صوغ المعادن النفيسة وبيعها لفظ الجواهرجي [٦] والجوهري .

ويعتبر العرض من أنواع المال ، ويشمل على الأمتعة والبضائع والجواهر والحديد والنحاس والرصاص والخشب وسائر الأشياء المصنوعة منها [٧] ، أى أن الجواهر والأحجار الكريمة تعد من الأموال المنقولة .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب . مادة جهر .

(٢) مطالع البدور فى منازل السرور :ط ــ مطبعة إدارة الوطن ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٢٩٩هـ ـ جـ٢ ص١٤٠ .

(٣) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر : ط ــ مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ــ بطرسبورغ سنة ١٨٦٥م . ص٧٧ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب . مادة عسجد .

(٥) المصدر السابق : مادة فرد .

(٦) د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية . ط ــ دار الشروق ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م . ص ١٥٨ .

(٧) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص٢ .

هذا وقد بلغ من اهتمام العلماء المسلمين بالجواهر والأحجار الكريمة أن جعلوا للجواهر علماً قائماً بها هو علم الجواهر ، وهو علم يبحث فيه عن كيفية الجواهر المعدنية البرية كالألماس والياقوت والفيروز ، والبحرية كالدر والمرجان وتمييز ذلك ومعرفة جيدها من رديئها بعلامات تختص بكل نوع منها ، ومعرفة خواص كل منها ، وغايته وغرضه ظاهرة لا تخفى على الإنسان . [١]

أسماء الأحجار الكريمة وأنواعها

بعد أن تأسست الدولة العباسية ، زاد اهتمام الخلفاء والناس ـ خاصة من كبار رجال الدولة ـ بالأحجار الكريمة ، وتفننوا فى التزين بها واقتناءها ، فانتشرت تجارتها وزادت أسعارها ، وقد تنوعت أشكال الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول وتعددت أسماؤها .

ذكر يحى بن ماسويه [*] كبير أطباء الخلفاء العباسيين ، أسماء هذه الأحجار الكريمة التى كانت منتشرة فى ذلك العصر فذكر منها : اللؤلؤ ، الياقوت ، الزمرد ، الماس ، الخرين ، المادينج ، الأفلوج ، الجمست ، العقيق ، الجزع ، الدهنج ، السبس ، الياسب ، الفيروزج ، البُسذ ، اللازورد ، المكىّ ، الكركهن ، الكركند ، الياسميس ، الكرك ، المسنّى ، العنبرى ، الغزوني ، الخلنجي ، البلّور ، القُبورى [٢] . غير أن هذه المعادن لا تكاد تحصى ، لكن منها ما يعرفه الناس ومنها مالا يعرفونه . [٣]

---

[١] القنوجي : أبجد العلوم . تحقيق / عبد الجبار زكار . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة ١٩٧٨م . جـ٢ص٢١٧ .

[*] هو أبو زكريا يحى (أو : يوحنا) بن ماسويه الخوزى ، كان نصرانياً سريانياً ، وهو كبير أطباء الخلفاء العباسيين ، كان أول نبوغ له فى عهد الخليفة العباسي المأمون ، فقد خدم بطبه المأمون ، ثم الواثق ، ثم المتوكل ، وكانت وفاته فى سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م ، يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها وفى أى بلد هي ، وصفة الغواصين والتجار . تحقيق د/ عماد عبد السلام رؤوف . ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م . مقدمة المحقق . ص١٥ ـ ٢٠ بتصرف بسيط .

[٢] المصدر السابق : ص٢٤ ـ ٢٥ .

[٣] الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف . شرحه د/ مفيد قميحة . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م . جـ٢ ص٣٠٩ .

وإذا كانت هذه هي أسماء الأحجار الكريمة الأكثر انتشاراً فى العصر العباسي الأول، إلا أن من هذه الأحجار الكريمة من له أسماء أخرى وأنواع أخرى ذكرها يحي بن ماسويه نفسه ، وغيره أيضاً من المؤرخين المسلمين المهتمين بهذه الأحجار .

وفى مقدمة هذه الأحجار الكريمة ذات الأسماء والأنواع المتعددة ، اللؤلؤ وهو نوعان كبير ويسمى الدّر وصغير ويسمى اللؤلؤ [١] . غير أن أسماء اللآلئ تكثر فى العربية جداً ككثرة أسماء الأسد فيها [٢] ، فهناك أسماء وأنواع كثيرة للؤلؤ تبلغ نحو سبعة عشر نوعاً بأسماء مختلفة هي : المدحرج ، الخايدار المخروطة ، المُقعدة ، العدسة ، الخماناج ، المغربي ، الأصبهاني ، الدُّق ، الطينية ، السَّراب [*] ، الجماناج ، الوردي ، الكربست ، اللباني . [٣]

ومع أن المرجان ذُكر فى القرآن الكريم بهذا الاسم [**] ، وكان معروفاً أيضاً فى العصر العباسي بهذا الاسم أيضاً إلا أن العامة من الناس كانت تطلق عليه اسماً آخر بجانب هذا الاسم هو مُسمى البُسذ وكانت هذه التسمية أشهر من المرجان . يقول ابن خرداذبه عن ذلك [٤] : " يُقلع من قعر هذا البحر ــ بحر الروم أو البحر المتوسط الآن ــ البُسذ ، وهو الذى تسميه العامة المرجان " . كما أن البُسذ نفسه كانت منه أنواع ذات أسماء متعددة أيضاً، يقول عنها يحى بن ماسويه [٥] : " يُسمى البُسذ فى بلاده العوم ، ومنه جنس يقال له الدليكي " .

---

[١] شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٧٨ .

[٢] البيروني : الجماهر فى الجواهر . تحقيق / يوسف الهادي . ط ــ شركة النشر العلمي الثقافي ــ طهران ــ إيران ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م . ص١٩١ .

[*] السَّراب : هي التى كلما أتى عليها سنة يبست وجفت ثم تتصدع ، فإذا أُعيدت فى الماء يوماً أو يومين رجعت إلى ماكانت عليه ، يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٢٨ .

[٣] المصدر السابق : ص ٢٤ ــ ٢٩ .

[**] قال تعالى فى تشبيه الحور العين فى مقرّ الثواب : { كأنهن الياقوت والمرجان } . الرحمن: آية ٥٨ . انظر البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٠٨ .

[٤] المسالك والممالك : ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ لم تذكر سنة الطبع . ص٩٢ .

[٥] الجواهر وصفاتها : ص٥٨ ــ ٥٩ .

ومن الأحجار الكريمة التى ذكرت فى القرآن الكريم أيضاً وحملت أسماء وأنواع متعددة فى العصر العباسي الأول ، الياقوت ، ومن أشباه الياقوت الأحمر ، نوع يسمى الكركند ، أى الياقوت الأصم ، لأنه منعقد ضعيف الشفافية كدر [١] ، والكركند ذاته منه جنس يقال له السندبا ، ومنه ما يسمى باللحمى ، ومنه جنس كالملح لا يقبل الجلي [٢] ، ومن أشباه الياقوت أيضاً البيجاذي [٣] ، وهو يُعرف أيضاً بالبنفش [٤] ، ومن أصناف الياقوت أيضاً صنف يُعرف بالراهوى [٥] ، ومن أنواع الياقوت أيضاً البلخشي وهو أحسن من الياقوت منظراً وأدق ماءً وأكثر نوراً . [٦]

ومن الأحجار الكريمة ذات الأسماء والأنواع المتعددة فى العصر العباسي الأول : الزمرد والزبرجد وهما اسمان يترادفان على معنى واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر إلا بالجودة والندرة [٧] ، وأفضل أنواع الزمرد هو الذبابي وهو أخضر مغلوق اللون جداً لا يشوبه فى خضرته شئ آخر من الألوان وإنما سمى ذبابياً لشبه لونه بالخضرة التى تكون فى الكبار من الذباب . [٨] وهناك نوع آخر من الزمرد يسمى بالأصم ، وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمناً لقلة مائه وخضرته . [٩]

---

(١) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٢٦ .

(٢) الجواهر وصفاقا : ص٥٢ . بتصرف بسيط .

(٣) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٦٤ .

(٤) ابن الإكفاني : نخب الذخائر فى أحوال الجواهر . تحقيق : أنستاس الكرملي . ط ـ القاهرة سنة ١٩٣٩م . ص٥ .

(٥) الزهري : كتاب الجغرافية . تحقيق / محمد حاج صادق . ط ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ لم تذكر سنة الطبع . ص٦٦ .

(٦) المصدر السابق : ص٦٢ .

(٧) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٦٢ .

(٨) الغزولي : مطالع البدور فى منازل السرور . جـ٢ ص١٤٩ .

(٩) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد . ط ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣م . جـ٢ ص٢٤ .

هذا ويعرف حجر البلّور أيضاً باسم المها [١] ، وهناك نوع آخر من العقيق يعرف بالينع [٢] ، كما يعرف الفيروزج بالفارسية باسم " النصر " ويسمى "حجر الغلبة " ويسمى أيضاً حجر العين . [٣]

كما كان سائداً فى المعتقد الشعبي آنذاك ، وهناك نوع آخر من الفيروزج يسمى بالدهنج [٤] ، ويفسر البيروني السبب فى تعدد أسماء هذه الأحجار الكريمة وأنواعها بقوله[٥] : " وللعرب والهند ولوع بتكثير الأسامي لمسمى واحد ، تقتضب بعضها وتشتق بعضها من صفاته وحالاته " .

وعلى الرغم من تعدد أنواع الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول وتنوع أسماؤها ، إلا أن هناك أحجاراً أخرى كانت موجودة فى ذلك العصر، غير أنها كانت قليلة الأهمية قياساً مع الأحجار السالفة الذكر . يقول البيروني عن هذه الأحجار [٦] : " فلنذكر الآن أحجاراً معروفة الأسماء وبعضها مجهولة الحقيقة والذات " ، ثم ذكر منها حجر الشاذنج، حجر الخَلْق ، الحجر الجالب للمطر ، حجر البَرَدَ ، مع أن الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول كانت متعددة الأسماء والأنواع والأشكال ، إلا أن بعضها كان أكثر أهمية وأوسع انتشاراً من البعض الآخر .، فقد كان الياقوت سيد الأحجار [٧] . مع أنه كان عزيزاً

---

(١) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٩٢ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب . مادة ينع .
(٣) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص١١ .
(٤) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٣١٣ .
(٥) المصدر السابق : ص١٨٩ .
(٦) المصدر السابق : ص٣٥٣ ــ ٣٦٢ .
(٧) الأبشيهي : المستطرف . جـ٢ ص٣١٠ .

قليل الوجود (*) سيما الأحمر والأصفر (١) ، يقول البيروني عن خلاصة هذه الأحجار الكريمة(٢) : " الجواهر الفاخرة فى الأصل ثلاثة هي : الياقوت ، والزمرد ، واللؤلؤ " .

غير أن هناك من المهتمين بالأحجار الكريمة من المؤرخين المسلمين ، من وسَّع دائرة الأحجار الكريمة ذات الأهمية فحدد أنواعها وموطنها مثل الثعالبي الذى يقول عن ذلك (٣) : فيروزج نيسابور (**) يُعد من نفائس الجواهر ، مع ياقوت سرنديب (***) ، ولؤلؤ عُمان ، وزبرجد مصر ، وعقيق اليمن ، وبجاذى بلخ (****) " .

أماكن تواجد الأحجار الكريمة

الجواهر كل واحد منها مختص ببقعة من البقاع ، وتولدها فيها من خاصية تلك البقعة (٤) ، فالذهب والياقوت وأنواع الجوهر والدر واللؤلؤ معادنه (*) كثيرة بالجنوب فى خط الاستواء (٥) ، وقد تعددت أماكن تواجد الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول ، لكن ليس معنى هذا أنها كانت ناشئة هذا العصر ، بل كان أكثرها يعمل منذ زمن طويل ،

(*) يقول الدمشقي عن أنواع الياقوت : " باقي أنواع الياقوت كثيرة الوجود ، وهي رخيصة وأثمانها معروفة عند أهل الخبرة بها " . الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٤ .

(١) ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب . ط ــ مطبعة البابي الحلبي ــ القاهرة سنة ١٣٤١هـ . ص١٢٤.

(٢) الجماهر فى الجواهر : ص١٥٦ .

(٣) لطائف المعارف : ط ــ بريل ــ هولندا سنة ١٨٦٧م . ص١١٣ .

(**) نيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء ، من بلدان المشرق الإسلامي . الحموي : معجم البلدان . ط ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لم تذكر سنة الطبع . جـ٥ ص٣٣١ .

(***) سرنديب : جريزة عظيمة فى بحر هركند بأقصى بلاد الهند ــ وهي دولة سريلانكا الآن ــ الحموي : معجم البلدان . جـ٣ ص٣٨٠ .

(****) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان وهي من أجل مدنها.المصدر السابق جـ١ ص ٤٧٩.

(٤) القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . ط ــ مطبعة البابي الحلبي ــ القاهرة ــ الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م . ص١٣٦ .

(*) المعادن : هي المناجم ، موطن استخراج وتعدين المعادن . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية .ص٥٤٤

(٥) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٣٠ .

لكن زاد الاهتمام بهذه البقاع ، عندما زاد الاهتمام بالأحجار الكريمة والسعي فى الحصول عليها واقتناءها من قبل خلفاء بني العباس ، ومن قبل الخاصة والعامة من الناس .

بداية قبل الحديث عن أماكن تواجد هذه الأحجار الكريمة بشئ من التفصيل ، يجب القول بأنه كانت توجد بعض الأماكن داخل حدود الدولة العباسية وخارجها ، قد امتازت بتعدد الأحجار الكريمة بها بشكل عام ، وتأتي فى مقدمة هذه الأماكن جزيرة سرنديب .

كان بجزيرة سرنديب أنواع اليواقيت ومغاص (**) اللؤلؤ ، وقطاع الماس أيضاً والبلّور (١) ، وخاصة فى جبل الراهون (*) فحوله الياقوت بألوانه كلها وفى أنهار سرنديب البلّور وحولها فى البحر مغاص اللؤلؤ (٢) ، كما خصّ الله جل وعزل السند والهند بأنواع الطيب والجواهر واليواقيت والألماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة (٣) ، وفى بحر فارس مغاص اللؤلؤ الجيد البالغ الذى لا يوجد مثله فى شئ من البحار ، وفى جزائره معدن العقيق ، وأنواع اليواقيت (٤) ، وفى مدينة بذخشان (**) معدن البلخش المقاوم للياقوت ، وبها معدن اللازورد ، ومعدن البيجادق وبها معدن البلّور الخالص . (٥)

(**) الغوص : النزول تحت الماء ، والغوص موضع يخرج منه اللؤلؤ ، والغوّاص : الذى يغوص فى البحر على اللؤلؤ ، والغاصة : مستخرجه . ابن منظور : لسان العرب : مادة غوص .

(١) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ط ـــ دار صادر ـــ بيروت ـــ لم تذكر سنة الطبع . ص٤٣ .

(*) جبل الراهون : هو الذى هبط عليه آدم ـــ عليه السلام ـــ وهو ذاهب فى السماء ويراه البحريون من مسافة أيام كثيرة . الحموي : معجم البلدان . جـ٣ ص٢١٦ .

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك . ص٦٤ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان . ط ـــ مطبعة بريل ـــ ليدن ـــ هولندا . سنة ١٣٠٢هـ ـــ ص٢٥١ .

(٤) القزويني : عجائب المخلوقات . ص٨٥ .

(**) بذخشان : بلدة فى أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٣٦٠ .

(٥) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص٣٠٦ .

هذا وقد تمثلت أماكن تواجد الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول على النحو الآتي :

- اللؤلؤ :

كانت مصائد اللؤلؤ كما هى فى وقتنا الحاضر متركزة فى موقعين ، فى المحيط الهادي، وفى الخليج العربي ، والمضيق الذى يفصل الهند عن جزيرة سيلان . [١] يقول ابن الوردى عن أماكن اللؤلؤ [٢] : " يتكون فى بحر الهند وفارس" ، وفى جزيرة سرنديب مغاص اللؤلؤ النقي إلا أنه صغار ، ومهما كان منه كبار فهو رديء [٣] ، لكن مغاصات بحر فارس أنفسها وأشرفها ، والبحرين منها خاصة ، وسواحل بحر فارس كلها مغاصات متصلة من حدود مكران [*] إلى البحرين [٤] ، فقد كانت هناك مصايد لآلئ ذات غلة وافرة فى الخليج العربي وجزر البحرين [٥] ، لدرجة أن الأصطخرى يقول عن أهمية الخليج العربي فى تجارة اللؤلؤ[٦] : " ولا أعلم معدناً للؤلؤ إلا ببحر فارس " .

---

[١] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى . ترجمة / أحمد رضا . ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م . جـ٤ ص١٥٤ .

[٢] خريدة العجائب : ص١٢٤ .

[٣] الرام هرمزي : عجائب الهند بره وبحره وجزايره . ط ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٠٨م. ص١٣٥ .

[*] مكران : ولاية واسعة تشمل على مدن وقرى والغالب عليها المفاوز ــ فى إيران حالياً ــ . الحموي : معجم البلدان. جـ٥ ص١٨٠ .

[٤] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٣٩ .

[٥] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ١ ص٥٥ .

[٦] مسالك الممالك : ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لم تذكر سنة الطبع . ص٣٢ .

فقد كان فى جزيرة خارك (*) مغاصاً للؤلؤ ، يخرج منه الشئ اليسير إلا أن النادر ، إذا وقع من هذا المكان فاق فى القيمة غيره (١) ، وكان فى جزيرة اللار عدة قرى فيها مغاص على اللؤلؤ (٢) ، وفى أرض عُمان مغاص اللؤلؤ الجيد(٣) ، وبقرب عدن معدن اللؤلؤ ، يخرج ما يقع منه إلى عدن (٤) ، كما كان هناك مغاص للؤلؤ فى البحر الأحمر ذكره يحى بن ماسويه باسم اللؤلؤ القلزمي (٥) .

وإذا كانت هذه المغاصات على اللؤلؤ فى المياه المالحة ، فقد كانت هناك مغاصات على اللؤلؤ فى المياه العذبة أيضاً فقد ذكر القزويني بأن فى بحر الصين مالا يحصى ، وفيه مغاص الدر فى الماء العذب يقع فيه الحبّ (*) الجيد (٦) ولعل ما ذكره القزويني هذا يتفق مع ما ورد فى القرآن الكريم بأن استخراج اللؤلؤ والمرجان يكون فى المياه العذبة كما يكون فى المياه المالحة ، وهو ما جاء فى قوله تعالى : { يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان } . الرحمن : آية ٢٢ .

ويتضح من خلال ما سبق ذكره عن أماكن تواجد اللؤلؤ ، بأنه كان سلعة إسلامية عربية خالصة لوقوعه فى حيز بلدان الخلافة العباسية .

(*) خارك : جزيرة فى وسط بحر فارس ــ الخليج العربي الآن ــ ومثلها جزيرة اللار وجزيرة قيس وجزيرة الجاسك . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٣٤٤ .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض . ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لم تذكر سنة الطبع . ص٤٧ .

(٢) الحموي : معجم البلدان . جـ٥ ص٧ .

(٣) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص٥٥ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض . ص٤٦ .

(٥) الجواهر وصفاتها : ص٣٦ .

(*) الحبّة : واحدة الحب وهي الحبوب المختلفة فى كل شئ ، ومقدارها عند جمهور العلماء يساوي (٠,٠٥٩ جرام تقريباً) . د/ علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية . ط ــ القدس للنشر ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١م . ص٢٢ .

(٦) القزويني : عجائب المخلوقات . ص٧٩ .

ـ المرجان :

توجد المغاصات التى يستخرج منها أجمل الأنواع فى القسم الغربي من البحر المتوسط ، وأحسن المغاصات وأكثرها ثراء هي مغاصات سبتة [*] وصقلية وسردينيا [**] وكورسيكا [١] ، فيوجد نبات المرجان فى قعر البحر الرومي ــ البحر المتوسط ــ فى ثلاثة مواضع منه ، فى جزيرة صقلية ومرسى الخرز ومرسى سبتة [٢] ، وكان أهمها مرسى الخرز ، والذى يقول عنه ابن حوقل [٣] : " لا يوجد المرجان فى مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز ، وما يخرج من غيرها حقير المقدار قليل الجوهر " . غير إن الإصطخري يذكر مدينة أخرى أهم من مرسى الخرز ، هي طبرقة [***] والتى يقول عنها بدوره [٤] : " وليس يُعرف فى الأرض معدن للمرجان إلا بها " ، وكان المرجان أيضاً يستخرج من المياه العذبة ، وليس من المياه المالحة فقط كما ذكر آنفاً ، فقد كان فى بحر الصين جزيرة تسمى جزيرة المرجان فيها شجر المرجان فى ضحضاح بين الملوحة والعذوبة ، وقد اطلعت رءوساً مشعبة ، فإذا أسقطت إليها مراكب أخذوا من ذلك المرجان ما قدروا عليه . [٥]

---

[*] سبتة : بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر . الحموي : معجم البلدان . جـ٣ ص١٨٢ .

[**] سردينيا : جزيرة فى بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية أكبر منها ــ وكورسيكا جزيرة فى البحر المتوسط أيضاً ــ . المصدر السابق : جـ٣ ص٢٠٩ .

[١] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١١١ ــ ١١٢ .

[٢] شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٧٢ .

[٣] صورة الأرض : ص٧٥ .

[***] طبرقة : مدينة بالمغرب من ناحية البر البربري على شاطئ البحر ، وهي عامرة لورود التجار إليها . الحموي : معجم البلدان . جـ٤ ص١٦ .

[٤] مسالك الممالك : ص٣٨ .

[٥] المسعودي : أخبار الزمان . ط ــ دار الأندلس ــ بيروت ــ لم تذكر سنة الطبع . ص٥١ .

ويتضح من خلال ما سبق أيضاً أن المرجان كان سلعة إسلامية لوقوعه فى البحر المتوسط الذى كان بمثابة بحيرة إسلامية كبرى فى العصر العباسي الأول على وجه الخصوص .

- الياقوت :

معدنه ــ أى منجمه ــ بالبلدان الجنوبية عند خط الاستواء [١] ، لكنه يوجد تحديداً حول جبل الراهون بجزيرة سرنديب خاصة الياقوت الأحمر والأصفر[٢] ، أما الحجر البلخش وهو نوع من الياقوت فيخرج من الجبل العظيم فى مدينة بلخشان ... فما كان من شرقي الجبل فى بلخشان كان أحمر اللون ، وما كان منه من غربيه كان أزرق اللون [٣] ، وعروق حجر البلخش فى جبلهم كثيرة ، لكن الجيد منه قليل [٤] ، كما توجد اليواقيت فى جبل من جبال الصين [٥] ويوجد فى جزيرة الموفق ــ ببلاد الصين ــ نوع من اليواقيت [٦] .

على الرغم من أن الياقوت بأنواعه يوجد فى الغالب خارج حدود الدولة العباسية ــ كما يستفاد مما سبق ذكره ــ إلا أن المؤرخ الحلبي : ذكر بأن له معدناً ــ منجماً ــ بأرض مصر ببلاد الفيوم ، وقد يوجد فى رمال جزائر النيل . [٧]

---

[١] القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٩ .

[٢] سليمان التاجر : عجائب الدنيا وقياس البلدان . تحقيق د/ سيف شاهين المريخي . ط ــ مركز زايد للتراث ــ العين ــ الإمارات العربية المتحدة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م . ص٣٢ .

[٣] الزهري : كتاب الجغرافية . ص٦٢ . بتصرف بسيط .

[٤] الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٣٦٠ .

[٥] القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص٥٤ .

[٦] الزهري : كتاب الجغرافية . ص١٥ .

[٧] الحلبي : سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار . مخطوط بجامعة الملك سعود ــ المملكة العربية السعودية . تحت رقم ٥٤٩ ــ س ٥ ش . ص٢ .

- الزمرد :

كان فى مصر العليا مناجم زمرد ، استغلت على نطاق واسع فى العصور القديمة ، ومنذ عصر متأخر كانت منتجات هذه المناجم تصدّر إلى الهند [١] ، فهذا ما نوّهت إليه المراجع الاقتصادية الحديثة ، أما المصادر العربية القديمة فقد أفاضت فى تحديد أماكن هذه المناجم فى صعيد مصر ، يقول ابن حوقل عن ذلك[٢]: " وبصعيد مصر فى جنوب النيل معدن الزبرجد فى برية منقطعة عن العمارة " ، ويوجد فى الجبال التى على أسوان أحجار الزمرد الغالي ، وهو أغلى الزمرد وأطيبه . [٣]

كانت مناجم الزمرد هذه واقعة على حدود مصر والنوبة عند بقعة اسمها "خربة"[*] وسط سلسلة الجبال الممتدة فى الصحراء بين النيل والبحر الأحمر. [٤]وخربة هذه تسمى بخربة الملك ، وهي مدينة شرقي النيل ومعدن الزمرد فى هذا الموضع وهناك جبلين يقال لأحدهما العروس وللآخر الخصوم بهما معدن الزمرد ، وربما وقعت بهما قطعة تساوي ألف دينار . [٥]

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن معدن الزمرد لا يوجد إلا فى مصر . من ذلك قول البيروني [٦] : " معادن ــ مناجم ــ الزمرد لا تجاوز حدود مصر " . وربما يكون قوله ذلك مبنياً على أن الزمرد المصري من أجود أنواع الزمرد فى ذلك العصر ، لأن غيره من الجغرافيين والمؤرخين قد ذكر أماكن أخرى يتواجد بها الزمرد فى عصر الخلافة العباسية . من

---

[١] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٥٨ .

[٢] صورة الأرض : ص١٥٠ .

[٣] الزهري : كتاب الجغرافية . ص٤٤ .

[*] خربة الملك : على ست مراحل من قفط ــ حوالي ٢٦٧ كيلو متر ــ وهي مدينة على شرقي النيل . الحموي : معجم البلدان . جـ٢ ص٣٥٥ .

[٤] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٥٩ .

[٥] القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص١٨٧ .

[٦] الجماهر فى الجواهر : ص٢٦٤ .

ذلك قول الزهري [١] : " يشق مدينة البيلقان [*] فى وسطها النهر المعروف بنهر الطبقات ، ويوجد فى هذا النهر أحجار كثيرة من الزبرجد العتيق . ويقول ابن الفقيه [٢] : " فى بلاد الروم معدن الزبرجد والذهب " . فلا مانع من أن تكون هناك مناجم للزمرد فى غير جنوب مصر ، لكن يبدو أن اهتمام المؤرخين بالزمرد فى مصر كان مبنياً على جودته وتفوقه على غيره من زمرد البقاع الأخرى .

ـ الفيروزج :

لقد حصرت المصادر التاريخية أماكن تواجد الفيروزج فى العصر العباسي الأول ــ فى الغالب ــ فى بلدان الخلافة العباسية الشرقية ، يقول القزويني عن ذلك [٣] : " نيسابور مدينة من مدن خراسان بها معدن الفيروزج " ، وذكر الإصطخرى بأن فى جبال نيسابور وطوس [*] يكون الفيروزج [٤] ، وذكر القزويني أيضاً أن فرغانة ناحية بما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك بها من المعادن الفيروزج [٥] ، غير أن هناك من الجغرافيين من ذكر للفيروزج أماكن أخرى غير بلدان الخلافة العباسية الشرقية مثل الزهري الذى يقول عن ذلك[٦] : "فيه ــ أى البحر المتوسط ــ جزيرة يوجد فيها من أحجار الفيروزج " . لكن أجمل أنواعه موجوداً فى خراسان فى مجاورات نيسابور [٧] ، ويستفاد مما ذكر بأن حجر الفيروزج على

---

[١] كتاب الجغرافية : ص١٧ .

[*] البيلقان : مدينة قرب الدربند الذى يقال له باب الأبواب ، تُعد فى أرمينية الكبرى ــ فى دولة أرمينية احدى دول الاتحاد السوفيتي سابقاً ــ الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٥٣٣ .

[٢] مختصر كتاب البلدان : ص٢٥٢ .

[٣] آثار البلاد وأخبار العباد : ص٤٧٣ .

[*] طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ ــ حوالي ٥٥٫٦٥٠ كيلو متر ــ الحموي : معجم البلدان . جـ٤ ص٤٩ .

[٤] الإصطخري : مسالك الممالك . ص٢٥٨ .

[٥] القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص٦٠٣ .

[٦] كتاب الجغرافية : ص١٣٣ .

[٧] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٦٠ .

الرغم من رخص أسعاره ــ كما سيذكر لاحقاً ــ كان حكراً فى وجوده على بلدان الخلافة العباسية الشرقية .

ـ العقيق :

إذا كانت المصادر التاريخية قد حصرت أماكن تواجد الفيروزج فى بلدان الخلافة العباسية الشرقية ، فإنها أيضاً قد حصرت أماكن تواجد العقيق والجزع ــ وهو أحد أنواع العقيق ــ فى بلاد اليمن السعيد دون سواه من بلدان الخلافة العباسية ، يقول المغربي عن ذلك [1] : " إنه معدن بأقصى اليمن " . لكن من المؤرخين من حدد أماكن تواجده باليمن ، يقول ياقوت الحموي عن إحدى هذه الأماكن [2] : " الهام قرية باليمن بها معدن العقيق " ، ويقول أيضاً [3] : " بنو نجيد مخلاف باليمن فيه معدن الجزع البقراني أجود أنواع الجزع " . ويقول فى موضع ثالث للعقيق باليمن [4] : " مقري قرية على مرحلة من صنعاء وبها معدن العقيق ، ينسب إليها " ، أى أنه كان يُعرف بالعقيق المقري ، غير أن أجود أنواع العقيق وأثمنها ــ فى بلاد اليمن ــ هو العقيق البقراني . [5]

هذا وقد ذكرت بعض المصادر أماكن أخرى لتواجد العقيق والجزع غير بلاد اليمن، من ذلك قول الحلبي [6] : " معدن ــ منجم ــ حجر العقيق بصنعاء اليمن ، وله معدن آخر ببلاد الهند والسند " ، ويقول ابن منظور فى حديثه عن الحبشة [7] : " الجزع والعقيق معدنهما اليمن والحبشة " ، لكن على الرغم من حديث هذه المصادر عن أماكن متعددة للعقيق والجزع ، إلا أنها لم تذكرها إلا مقرونة بأماكن تواجدها فى بلاد اليمن ، وهذا

---

(١) قطف الأزهار فى خصائص الأحجار : ص٩٠ .

(٢) معجم البلدان : جـ٥ ص٣٨٩ .

(٣) المصدر السابق : جـ١ ص٥٠١ .

(٤) المصدر السابق : جـ٥ ص١٧٣ .

(٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان . ص٣٦ .

(٦) سر الأسرار : ص١٨ .

(٧) لسان العرب : مادة حبش .

يدل على عظم العقيق اليمني وجودته فى ظل الخلافة العباسية .

- البلّور :

ذكر الغزولي أماكن تواجد البلّور عموماً فقال [1] : " معدنه — منجمه — الذى يتكون فيه ، منه ما يوجد بتربة العرب بالحجاز الشريف وهو أجوده ، ومنه ما يؤتى به من الصين وهو دون العربي ، ومنه ما يكون ببلاد أفرنجة [*] وهو جيد أيضاً ، ومنه معادن بناحية أرمينية [**] يميل إلى الصفرة الزجاجية كأنه مطبوخ بالنار " . وفى جبل نوقان [*] بخراسان معدن النحاس والحديد ... وبه شئ من البلّور غير صافٍ . [2]

- الماس :

كانت طبقات الماس موجودة فى القسم الشرقي من الهند ، فى خمس مقاطعات متميزة ، محصورة بين نهر بنير **Pennair** والمجرى الأوسط لنهر الجانج **Gange** [3] ، وقد أكد على معلومات المراجع الحديثة المصادر العربية أيضاً ، من ذلك قول القزويني عن أماكن تواجد الماس [4] : " والموضع الذى فيه الماس لم يصل إليه أحد ، وهو وادٍ بأرض الهند " . وذكر القزويني بأن الماس كان يوجد أيضاً فى جبل جزيرة سرنديب . [5]

ويتضح من خلال ما ورد في المصادر التاريخية بأن الماس لم يكن من الأحجار الكريمة

---

(1) مطالع البدور فى منازل السرور : جـ٢ ص١٥٨ .

(*) أفرنجة : أمة عظيمة لها بلاد واسعة وممالك كثيرة وهم نصارى ، وهم شمال الأندلس نحو الشرق إلى رومية — يقصد بذلك الأمم الأوروبية الآن — . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٢٢٨ .

(**) أرمينية : هما أرمينيتان الكبرى والصغرى ، الكبرى هي خلاط ونواحيها — فى تركيا حاليا — وأرمينية الصغرى تفليس ونواحيها — وهي جمهورية أرمينيا حالياً — المصدر السابق : جـ١ ص١٦٠ .

(*) نوقان : إحدى قصبق طوس وفيها تُنحت القُدور البرام . الحموي : معجم البلدان . جـ٥ ص٣١١ .

(2) ابن حوقل : صورة الأرض . ص٤٣٤ .

(3) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٦٢ .

(4) عجائب المخلوقات : ص١٥٦ .

(5) المصدر السابق : ص١١٦ .

المتواجدة فى بلدان الخلافة الإسلامية فى العصر العباسي الأول .

- اللازورد :

كان يستخرج من جبال فارس أحجار كريمة ، وبخاصة الفيروز واللازورد[١] ، ومن جبل شرال – بخراسان – كان يجلب اللازورد الخراساني [٢] كما كانت بذخشان هي أصل اللازورد ولها معادن – مناجم – كثيرة فى جبالها . [٣]

- الأحجار الكريمة الثانوية :

إلى جانب هذه الأحجار الكريمة – السالفة الذكر – الذائعة الشهرة ، كانت هناك أحجاراً كريمة ذات شهرة أقل ، تعددت أماكن تواجدها أيضاً ، من هذه الأحجار حجر الخماهن وكان معدنه – منجمه – بالجبل المقطم ونواحيه بأرض مصر [٤] ، وحجر اليشب كان معدنه – منجمه – الذى يتكون فيه كاشغر [*] ومنه يجلب إلى البلاد [٥] ، أما حجر الدهنج فله معادن – مناجم – بالشام والهند والروم والأندلس وخراسان . [٦]

وحجر البجاذى حجر شريف يوجد حيث يوجد الياقوت بجبل الراهون من جزيرة سرنديب [٧] ، وكان لحجر البجاذى مناجم أخرى فى العصر العباسي الأول وهذا ما يؤكده يحى بن ماسويه بقوله [٨] : " يؤتى به من سرنديب ... وقد ظهر له معادن – مناجم –

---

[١] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ١ ص٥٥ .

[٢] الزهري : كتاب الجغرافية . ص٦٠ .

[٣] ابن حوقل : صورة الأرض . ص٤٤٩ .

[٤] الحلبي : سر الأسرار . ص٢٣ .

[*] كاشغر : مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي وهي فى وسط بلاد الترك . الحموي : معجم البلدان . جـ٤ ص٤٣٠ .

[٥] الغزولي : مطالع البدور . جـ٢ ص١٥٧ .

[٦] شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٨٣ .

[٧] المصدر السابق : ص٦٤ .

[٨] الجواهر وصفاتها : ص٦٣ – ٦٤ .

بناحية بخارى (*) منذ نحو عشر سنين " . وبما أن يحى بن ماسويه قد توفى فى سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م كما ذكر آنفاً ، فمعنى هذا أن هذا المنجم قد تم اكتشافه قبل وفاته بنحو عشر سنوات على أقل تقدير ، وهذا يؤكد على تواجد مناجم هذه الأحجار وغيرها بكثرة فى العصر العباسي الأول .

هذا وبإجراء دراسة إحصائية لأماكن تواجد الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول ، والتى ذكرتها المصادر التاريخية آنفة الذكر ، يمكن أن نخلص بالحقائق التاريخية والاقتصادية الهامة الآتية :

١ـ أن عدد أماكن تواجد الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول قد بلغت نحو خمسين موضعاً على وجه التقريب .

٢ـ أن عدد بلدان الخلافة العباسية قد بلغ نحو اثنين وثلاثين بلداً من البلدان التى يتواجد بها الأحجار الكريمة وذلك بنسبة ٦٤% فى حين جاءت الصين بنحو ١٠% ، والهند بنسبة ٨% ، وجزيرة سرنديب بنسبة ٨% أيضاً ، فى حين حصلت البلدان الأوروبية مجتمعة على نسبة ١٠% فقط .

٣ـ أن استحواذ البلدان الإسلامية على نسبة ٦٤% من عدد البلدان المتواجد بها هذه الأحجار الكريمة ، يؤكد على أن هذه الأحجار الكريمة كانت سلعة إسلامية خالصة فى العصر العباسي الأول ، وهي هامة جداً بالنسبة للاقتصاد الإسلامي حينئذ خاصة وأنها مما خف وزنه وارتفع ثمنه .

طُرق استخراج الأحجار الكريمة

تعددت طُرق استخراج الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول بتعدد أنواعها وخصائصها وطبيعتها البحرية والبرية ، كما أن المصادر التاريخية قد أفاضت فى الحديث عن

(*) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ـ وهي من أكبر مدن أوزبكستان حالياً ـ . الحموي : معجم البلدان. جـ١ ص٢٥٢ .

استخراج بعضها ، فى حين أنها أحجمت عن الحديث عن طُرق استخراج البعض الآخر ، وربما كان السبب فى ذلك يرجع إلى ندرة هذه الأحجار فى حد ذاتها ، أو لتشابه طُرق استخراجها مع الأحجار الأخرى التى أفاضت فيها ، أو ربما لعدم الأهمية الكبرى لهذه الأحجار ، ومن الأحجار الكريمة التى أفاضت فيها المصادر التاريخية كثيراً اللؤلؤ ومغاصاته .

المغاصات هي المواضع التى ينجح فيها غوص الغواص بالحصول على صدفٍ (*) ذى لؤلؤ ، وهي مشهورة وإليها تجهز السفن بالأزودة للأمناء والأجراء بقدر البعد عن الساحل أو بكثرة المكث فى البحر على الساحل [1] ، أما عن وقت الغوص على اللؤلؤ فى بحر فارس ــ الخليج العربي ــ فإنما يكون فى أول نيسان إلى آخر أيلول ، وماعدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها [2] ، وفى هذه المدة ــ مدة الغوص ــ يكون بحر فارس ساكناً ، لأنه إذا هاج قطع الغوص ، وعلى هذا القياس يجب أن ينقطع الغوص فى ربعى الخريف والشتاء عن المغاصات فى بحر الهند . [3]

فى كل سنة فى فصل صيد اللؤلؤ ، يتقابل عند البحرين تجار البلاد المجاورة فيستأجرون مراكب تستقل غطاسين وصيادين ، وينطلق الأسطول ويتكون عادة من عدد كبير من المراكب بحثاً عن رصيف لآلئ [4] ، وهؤلاء الغاصة إنما يستأجرهم التجار مشاهرة ثم يركب منهم السفينة ما بين الستة نفر إلى اثنى عشر رجلاً نصفهم غاصة ونصفهم يمسكون الحبال على الغاصة كل رجل لرجل وفى كل سفينة أمين من قبل التاجر [5] ، فالتاجر هو الآمر أجراءه بالغوص ، القيم بالأمر دون الغواص [6] ، ويعود الغاصة إلى الموضع الذى

(*) الصّدفة : صدف الدرة غشاؤها ، الواحدة صدفة والجمع الأصداف ، وهو غلاف اللؤلؤة ، وهو من حيوان البحر . ابن منظور : لسان العرب . مادة صدف .

(1) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٣٦ .

(2) المسعودي : مروج الذهب . جـ١ ص١٤٨ .

(3) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٤٢ .

(4) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٥٥ .

(5) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٣٨ بتصرف بسيط .

(6) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢١٧ .

تجهزوا منه للغوص فيما بين ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً على قدر قُرب المغاص وبُعده [١] ، فمن شرط الغواص أن يقيم الغواصة فيه ــ أى البحر ــ شهرين لا غير وعلى هذا يتشارطون .[٢]

بعد أن يركب الغاصة السفينة تكون لهم حبال من كتّان طولها ما بين العشرين ذراعاً إلى الخمسين ، وفى طرف الحبل حجر معلق يكون نحو ثلاثين منّاً [*] ، فيضع الغاص قدمه عليه وينحدر فى الماء إلى قرار البحر عرياناً وعليه فوطته ومعه مخلاة من شريط محمولة فى عنقه [٣] ، فإذا أراد الغائص الغوص ، انتظر الظهيرة وتكبد الشمس السماء ليضئ البحر ويظهر له ما فيه ، ثم يجيل البصر حتى يقع على المحار [٤] ، وربما أصابوا فى بعض الغوصات الصدفة فيها الحبة الفائقة النادرة ، وربما اتفق منهم الاثنان والثلاثة فى قرار البحر فيقتتلون على الصدف فى الماء . [٥]

ويغوص الغاص فى اليوم ثلاث غوصات ما بينه وبين انتصاف النهار ، ولم يطعم طعاماً إلا تمرات ، فإذا خرج من غوصه طعم ، وأكلهم السمك المالح والطري والتمر ، وربما نالوا الخبز القليل ... فإذا فرغوا من غوصهم أخذوا فى شق الصدف ، فما خرج من شئ دفعوه إلى الأمين ، ويموت الصدف فى السفينة إذا خرج من الماء ، فإذا مات انشق فوه وانفتح فسهل شقه ، وإذا كان حياً اشتد شقه [٦] ، وعندما يعودون إلى البر ، يفرزون لآلئهم، ويجعلون منها ثلاث فئات حسب حجمها ، ويبيعون جزءاً منها ــ أى التجار ــ

---

[١] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٤٠ .
[٢] الرام هرمزي : عجائب الهند . ص١٠٢ .
[*] أى ما يعادل أكثر من ٢٣ كيلو جرام .
[٣] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٣٨ .
[٤] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٤٦ .
[٥] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٤٠ .
[٦] الجواهر وصفاتها : ص٣٩ .

ويحملون معهم الباقي . [١]

هذا ولم تكن هذه الطريقة المنظمة فى استخراج اللؤلؤ هي الطريقة الوحيدة للحصول على اللؤلؤ ، بل كان يتم الحصول عليه من على ساحل البحر دون أى عناء ، فأحياناً يوجد فى الأصداف الميتة المتشققة على السواحل شيئاً من اللؤلؤ ، فما وجد فى الميتة كانت القشرة العليا من اللؤلؤة ميتة اللون [٢] ، فإذا تعطل الغواصون بانقضاء وقت الغوص، ترددوا على السواحل فى طلب تلك الأصداف الفاسدة ، واستخرجوا منها حبات متغيرة ، وهذه الأصداف الفاسدة قد ماتت فى القعر فقذفتها الأمواج إلى البر ، ولقد فسدت حباتها بموتها . [٣]

وتحدثت المصادر أيضاً عن طُرق استخراج اللؤلؤ من بحر الصين ، يقول الزهري عن ذلك [٤] : " أما صيده فالذى يغوص عليه فى قعر البحر يعمل له من الخشب شبه تابوت قاعه واسع ورأسه ضيق على قدر ما يقعد فيه الرجل وله ثقُالات فى أسفله ، وله كُمان من الجلد فى أجنابه يتعلق بكل كم منهما وعاء من الصوف ، فيدخل الرجل فى التابوت وهو مقلفط عليه بالقار والشحم ، وله حبل فى رأسه يدلى به فى الماء بعد أن يخرج الرجل يديه من تلك الأكمام التى وصفناها ويربطها من داخلها ، فإذا وصل التابوت بثقله أرض البحر مد يده ، فما وجد من الأصداف جعلها فى الأوعية حتى يملأها ، ثم يحرك التابوت فيتحرك الحبل فى وجه البحر فيرفعه أصحابه فتؤخذ الأصداف وتجعل فى بيت خمسة عشر يوماً حتى يجف ماؤها ويموت حيوانها ، فتفتح ويسقط منها الجوهر وتقشر حتى لا يبقى منه شئ " .

أما عن طريقة استخراج المرجان فهي تتشابه إلى حد كبير مع طريقة استخراج اللؤلؤ الآنفة الذكر ، والسبب فى ذلك يرجع إلى كونهما جوهرين بحريين ، فالمرجان تكونه فى

---

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٥٥ .

(٢) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٣٢ .

(٣) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٤٠ ـــ ٢٤١ .

(٤) كتاب الجغرافية : ص١٦ .

شهر نيسان وبلوغه أيلول ، وهو يستخرج من موضع يسمى مرسى الخرز بقرب ساحل إفريقية ، حيث يجتمع التجار هناك ثم يستأجرون أهل تلك النواحي على استخراج المرجان من البحر [١] ، ويعمل في إثارة المرجان الخمسون قارباً وما زاد على ذلك ، وفي القارب العشرين رجلاً إلى ما زاد ونقص [٢] ، والغواصون يترلون عليه ويقطعونه [٣] ، ويقال إنه يخرج بكلاليب حديد [٤] ، لأن المرجان واسطة بين النبات والمعدن ، لأنه بتشجّره يشبه النبات ، وبتحجّره يشبه المعدن ، ولا يزال ليناً في معدنه ، فإذا فارقه تحجر ويبس [٥] ، وحصلت له هذه الحُمرة . [٦]

هذه هي طرق استخراج الأحجار الكريمة البحرية ، أما الأحجار الكريمة البرية فيأتي في مقدمتها الياقوت ، فالأحمر والأخضر والأصفر منه مخرجه من جبل في جزيرة سرنديب ، وأكثر ما يظهر لهم في وقت المد ، يدحرجه الماء عليهم من كهوف ومغارات ومسائل مياه ... وربما استبطوه أيضاً كما تستنبط المعادن ، يخرج الجوهر ملصقاً بالحجارة فيكسر عنه [٧] ، وبعضه يلقط من التراب ، وبعضه يلقط من الأودية يأتي به السيل من جبال تلك الجزيرة ، وبعضه في الجزيرة في الحمأة يطلبه الرجال فيها [٨] ، وأما ما أحدره السيل من اليواقيت فيكون خيراً مما يوجد في التراب والحمأة . [٩]

---

[١] المغربي : قطف الأزهار . ص٧٧ بتصرف بسيط .

[٢] ابن حوقل : صورة الأرض . ص٧٥ .

[٣] القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٦ .

[٤] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاقما . ص٥٩ .

[٥] الأبشيهي : المستطرف . جـ٢ ص٣١٢ .

[٦] الحلبي : سر الأسرار . ص٢١ .

[٧] السيرافي : رحلة السيرافي . تحقيق / عبد الله الحبشي . ط ــ المجمع الثقافي ــ أبو ظبي ــ الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٩٩م . ص٨١ .

[٨] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاقما . ص٤٣ .

[٩] البيروني : الجماهر في الجواهر . ص١٢٠ .

ويستخرج الماس أيضاً فى جبال سرنديب فى وادٍ يسمى وادي الماس وهو بعيد القعر وبه حيات عظام مؤذية فإذا أرادوا إخراج الماس طرحوا فيها ما أمكنهم لحماً حاراً طري السلخ ، فترى نسور تلك الجهة وهي به كثيرة ، ذلك اللحم فتنقض عليه وتأخذه وترفعه إلى حيث تأكله خوفاً من حيات الوادي ، فيقصد طالب ذلك إلى موضع المأكول فيجدون بها ما تعلق باللحم من الماس على قدر العدسة والفولة والحمصة [١] ، ويبدو أن وادي الماس هذا كان مليئاً بالفعل بالحيات الكبيرة لدرجة أن الأبشيهي قد ذكر عدة وسائل كان يستخدمها أهل هذا الوادي للحصول على الماس والتقاطه ، فذكر بأن هذا الوادي كان مشحوناً بالحيات ، فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع فى الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنظر إلى خيالها فى المرآة ، فتفر من ذلك الجانب فيترل ليأخذ ما له من رزق ، وقيل: إن الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ، ومصيف فى ستة أشهر فى مكان آخر ، فإذا ذهبت إلى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها [٢] ، هذا والدراسة تميل إلى الرأي الأخير من هذه الرواية ، على أساس أن للأفاعي ما يعرف بالبيات الشتوي مثلها مثل بقية الزواحف.

ومن الأحجار الكريمة البرية أيضاً الزمرد ، ويستخرج بالحفر عنه ، فربما أصابوا العروق فقطعوها ، وهو أجود ما يكون منه ، والباقي يصاب فى التراب بالتّخل [٣] ، وهو صغيره ، وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة ، فيوجد فيه الحجر بعد الحجر ، ويوجد بعضه عليه أتربة ، كالكحل الشديد السواد ، وأكثر ما وجد فى الزمرد فى التراب فهو الفصّ ، وما قطع منه من العروق فهو القضيب فى اصطلاح الجوهريين ، وهو أعتقه وأخلصه [٤] ، وقد تحدث يحى بن ماسويه عن أجرة العمال الذين

---

[١] المسعودي : أخبار الزمان . ص٥٠ ، يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٤٧ .

[٢] الأبشيهي : المستطرف . جـ٢ ص٣١١ .

[٣] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٤ .

[٤] الغزولي : مطالع البدور . جـ٢ ص١٤٩ .

يقومون بالحفر على الزمرد فقال [١] : " وعلى كل رجل منهم يدخل ذلك الجبل خمسة دنانير لعشرين ليلة " ، وكان يحفر عليه فى الجبل ــ بصعيد مصر ــ أسراباً ويدخل عليه بالنار . [٢]

ويتشابه العقيق مع الزمرد فى طريقة استخراجه عامة وهي الحفر ، ففي بلاد اليمن من أراد العقيق اشترى قطعة أرض بموضع صنعاء ، ثم حفر فربما خرج له شبه صخرة وأقل ، وربما لم يخرج شئ [٣] ، فكل أنواع العقيق تأتي من جبال أو معادن ــ مناجم ــ يحتفر منها ، ومنه ما يكون لقطاً من أودية وصحارى. [٤]

والبلّور يوجد فى بلاد تركستان ، حيث يوجد جبلان يقطعون الناس منها ليلاً ، لأن الشعاع فى النهار يمنع من العمل ليلاً [٥] ، ومنه ما يلتقط من البوادي[٦] ، أما حجر الماذينج فإنه لا يضئ ولا يستخرج إلا إذا حفر عنه حفراً كثيراً ، وكذلك الدهنج فهو عروق تتبع ثم يحفر عنها . [٧]

هذا ومن الأشياء الهامة التى ذكرتها المصادر التاريخية عن الأحجار الكريمة ، بعض المعوقات التى كانت تعوق عملية استخراجها ، وخاصة اللؤلؤ ، فذكر البيروني بأن البرد عائق عن الغوص قوي [٨] ، وهذا العائق ينصرف إلى المرجان أيضاً ، وإن كانت الدراسة لم تعثر على ذلك صراحة فى المصادر التاريخية ، وذلك على أساس أنهما حجرين كريمين بحريين، بل إن البرد ربما يكون أكثر عائقاً للمرجان من اللؤلؤ على أساس أن مكان تواجده الرئيسي هو البحر الأبيض المتوسط ، وهو معروف بكثرة أنواءه من الخليج العربي خاصة فى فصل الشتاء .

---

(١) الجواهر وصفاتها : ص٥٥ .
(٢) الحلبي : سر الأسرار . ص١٤ .
(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لم تذكر سنة الطبع . ص١٠١ .
(٤) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٧ .
(٥) المغربي : قطف الأزهار . ص٨٠ .
(٦) الحلبي : سر الأسرار . ص١٦ .
(٧) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦١ ــ ٦٥ بتصرف بسيط .
(٨) الجماهر فى الجواهر : ص٢٣٨ .

وقد يتفق فى بعض المغاصات مانع من الغوص كالحيوانات المؤذية التى فى مغاص القلزم [١] ــ البحر الأحمر ــ فمن الحيوانات ما يبلع الغائص ، وما يقطعه نصفين وهو القرش[٢] ، ومواضع السمك معروفة ، فلهم إذا صاروا فى قرار البحر نباح مثل نباح الكلب يفر منه السمك [٣] ، وقد ذكر ابن العبري قصة طريفة فى هذا الشأن ، ففي خلافة المعتصم بن هارون الرشيد ظهر يومئذ فى بحر البحرين حوت ضخم طوله نحو ميل أزعج البحر ثلاثة أشهر ، وتعذر على السباحين فى طلب اللآلئ ، واستئناف مهنتهم ، وحين ذاك أرسل الله عز وجل سمكة صغيرة خشت فى أذن ذلك الحوت الكبير وفتكت به ، ثم جرفته الأمواج إلى البر، غير أن لحمه لم تكن تنضجه النار ، فجعل الأهالي ينشفونه فى الشمس ويدقونه ويأكلونه. [٤]

وهناك أمر أخير فى طرق استخراج الأحجار الكريمة لا يمكن إغفاله ، وهو دور الخلافة العباسية فى الإشراف والمتابعة لعملية استخراج الأحجار الكريمة سواء البحرية منها أو البرية .

فقد كان للصناعة نصيب كبير من عناية الخلفاء العباسيين الأوائل ، فاهتموا باستخراج المعادن[٥]،وكان فى مقدمة هذه المعادن الجواهر، والتى غزرت فى أيام بنى أمية وأوائل أيام دولة بني العباس حتى قالوا:إنه كان يعمل منها أوانٍ " . [٦] فقد كانت المعادن عندهم ضربين : ظاهرة ، وباطنة ، فالمعادن الظاهرة ما كان جوهرها المستودع فيها بارزاً ، كمعادن الكحل والملح والقار والنفط ، فهذا لا يجوز إقطاعها ، لأنها كالماء والناس فيه سواء يأخذه من ورد إليه ، وأما المعادن التى فى باطن الأرض فهي ما كان جوهرها مستكناً فيها ، فهذه كانت الحكومة تقطعها لمن يستخرجها ، ولها الخمس مما يخرج

---

[١] ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص٧ .

[٢] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٤٩ .

[٣] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٤٠ .

[٤] ابن العبري : تاريخ الزمان ، تعريب / إسحق أرملة . ط ــ دار المشرق ــ بيروت ــ لبنان سنة ١٩٩١م . ص٢٩

[٥] د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ط ــ منشورات جامعة دمشق ــ سوريا ــ الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٧م. ص٣٦٤

[٦] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٢٩ .

منها .. ونظراً لسعة لدولة العباسية فقد كانت المناجم فيها عديدة ، منها الذهب والفضة والنحاس والزئبق والفيروز والزبرجد وغيرها . [1]

كانت تجارة اللؤلؤ فى حد ذاتها من التجارات المهمة فى الدولة العباسية وكانت عملية الإشراف على غوص اللؤلؤ من الأمور التى ينص عليها عند تعيين الولاة على منطقة البحرين وباقي سواحل الخليج العربي ، وكانت عملية بيع اللؤلؤ بعد جمعه تتم بحضور الوالي وجمع كبير من التجار ، واعتاد بعض الحكام فى منطقة الخليج ، أن يقدموا اللآلئ الثمينة هدية لخلفاء بنى العباس ، فى حين كان حكام الإحساء بالبحرين يأخذون نصف ما يستخرجه الغواصون من اللؤلؤ [2] وكان لسلطان المغرب فى مدينة جبل طارق المعروفة بالجزيرة الخضراء أمناء على ما يخرج منها من المرجان ، وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن . [3]

أما الجبل الذى فيه ياقوت فى بلخشان فكان لصاحب بلخشان على هذا الجبل أمناء من عنده وحجاب ، فإذا أراد أحدهم أن يصعد إليه برسم أن يفتش عن هذا الياقوت ، أعطي فى اليوم والليلة مائة دينار من الذهب ، ثم يطلع برجاله فيحفرون فى وجه الجبل وجوانبه ، فمن أعطاه الله شيئاً لم يحفر أكثر من ذراع أو ذراعين طولاً وعرضاً ، ووجد من هذه الأحجار ما قيمته خمسمائة دينار وألف دينار ، ومن أعطاه الله وجد عشرة أحجار وأكثر وأقل ، وربما لم يجد شيئاً فخسر يومه وليلته ، وربما يخرج بقيمة كرائه وربما لم يخرج شيئاً فيخسر كراءه ، وقد استغنى فى هذا الجبل أقوام وافتقر آخرون ، وهذا الجبل تنبت فيه هذه الأحجار كما ينبت الذهب فى مكانه . [4]

---

[1] جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي . ط ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ لم تذكر سنة الطبع جـ٢ ص٩١ .

[2] د/ محمود قمر : دور البحرين فى الملاحة البحرية من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية . ط ـ دار عين ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م . ص٦٩ .

[3] ابن حوقل : صورة الأرض . ص٧٥ .

[4] الزهري : كتاب الجغرافية . ص٦٢ .

ألوان الأحجار الكريمة

لقد كان من الطبيعي مع تعدد أسماء وأنواع الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول ، أن تتعدد ألوان هذه الأحجار ، فكان منها من له لون واحد ، ومنها من له ألوان متعددة ، ولاشك أن التمييز بينها كان يحتاج إلى مهارة عالية سواء بالنسبة للتاجر أو المشتري فى ذلك العصر .

بداية كانت هناك بعض الأحجار لها لون واحد فقط مثل المرجان فقد كان أحمر اللون [١] ، وحجر البجادق وهو أحمر اللون [٢] ــ أيضاً ــ وكذلك الزمرد جميعه أخضر مختلف الخضرة [٣] ، وكان خير الزبرجد ــ وهو الاسم المرادف للزمرد كما ذكر آنفاً ــ الشديد الخضرة الناضر الصافي النقي [٤] ، وكان حجر المكيّ له لون واحد أيضاً وهو أخضر يشبه الزمرد [٥] ، والدهنج حجر أخضر [٦] أيضاً ، وكان الجمست حجر أبيض جبلي [٧] ، فكل هذه الأحجار الكريمة كان من السهولة بمكان التعرف عليها وتقدير قيمتها ، لأنها ذات لون واحد ، وكان الفارق بينها الشكل العام واللون المختلف ودرجة البريق .

كانت هناك أحجار كريمة لها لونين ، فقد كان حجر المادينج أحمر يضرب إلى السواد [٨] ، وكان حجر الخماهن أحمر بسواد [٩] ، وحجر البجاذى أحمر يعلوه سواد يسير

---

(١) القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . ص١٥٦ .

(٢) المصدر السابق : ص١٤١ .

(٣) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٤ .

(٤) الجاحظ : التبصرة بالتجارة . تحقيق / حسن حسني التونسي . ط ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٤م . ص١٤ .

(٥) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٧ .

(٦) الخوارزمي : مفاتيح العلوم . تحقيق / فان فلوتن . ط ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ القاهرة سنة ٢٠٠٤م . سلسلة الذخائر . ص٢٦١ .

(٧) المصدر السابق : ص٢٦٢ .

(٨) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٥ .

(٩) المغربي : قطف الأزهار . ص٩٨ .

لا شعاع لـه [١] ، وكان خير حجر الماس البلّوري الصافي الأبيض النقي ، ثم الأحمر [٢] ، وكان حجر الكرك أبيض ووردي [٣] ، ولون حجر الكركند أحمر فى حمرة الياقوت الأحمر ، ومنه أحمر إلى الصُفرة [٤] ، وحجر الفيروزج أخضر مشوب بزرقة [٥] ، وهذه النوعية من الأحجار الكريمة كان من السهولة التعرف عليها كسابقتها من ذات اللون الواحد ، أما الأحجار الكريمة ذات الألوان الثلاثة ، فلم نعثر فى كتب المهتمين بالحديث عن هذه الأحجار، إلا على حجر واحد وهو البسّذ ـ أحد أنواع المرجان ـ وهو أصل المرجان منه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود . [٦]

أما حجر الياقوت ذو الشهرة الذائعة فى ذلك العصر فهو مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر وأزرق [٧] ، وذكر الجاحظ بأن منه لون أبيض وهو دون هذه الألوان قيمة[٨]، ولعل السبب فى تعدد ألوان الياقوت يرجع إلى تعدد أنواعه وأشباهه .

هذا ولم يكن الياقوت هو الحجر الكريم الوحيد المتعدد الألوان ، فقد ماثله فى هذه الخاصية حجر العقيق [*] فهو خمسة أنواع : أزرق وأبيض وأسود وأحمر ورطّبى [٩] ، وكذلك حجر اليشب فهو أبيض وأصفر وأخضر فيه سواد ورمادي وزمردي وزيتي وهو أفضلها[١٠]،

---

(١) المصدر السابق : ص٧٤ .

(٢) الجاحظ : التبصرة بالتجارة . ص١٦ .

(٣) الحلبي : سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار . ص٢٣ .

(٤) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٢ .

(٥) القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٢ .

(٦) المصدر السابق : ص١٤١ .

(٧) المصدر السابق : ص١٥٩ .

(٨) التبصر بالتجارة : ص١٣ .

(*) أحسن أنواع العقيق ما اشتدت حمرته وصفت صفرته . القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥١ .

(٩) شيخ الربوة : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر . ص٦٩ .

(١٠) الحلبي : سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار . ص١٧ .

ويماثله حجر الجزع الذى ذكر القزويني عنه بأنه حجر ذو ألوان كثيرة [١] ، وذلك دون أن يحدد مسمى هذه الألوان ، ومما لاشك فيه أن تعدد ألوان هذه الأحجار الكريمة وتعدد الألوان بالنسبة للحجر الواحد كانت تقف عقبة خاصة أمام فئة مقتنييها ، وهذا بدوره قد أدى إلى ظهور عملية الغش والتدليس فى بيع هذه الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول ، وهو ما سوف تتناوله الدراسة فى موضع آخر من هذا البحث .

أوزان الأحجار الكريمة

ذكر آنفاً بأن الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول كانت ذات ألوان مختلفة ، بل إن الحجر الكريم ذاته كان متعدد الألوان ، لذا اختلفت أيضاً أوزان الأحجار الكريمة عند استخراجها من معادنها ومن أماكن تواجدها سواء فى البحر أو البر .

كانت بعض هذه الأحجار تقاس وتوزن بالمَن ، والمَن مأخوذ من المنا الذى يوزن به ، ومقداره رطلان ، وهو يساوي عند الجمهور (٧٧٣,٥ جراماً) [٢] فكانت القطعة من حجر اللازورد تصل إلى مَن [٣] ، وتجئ القطعة من حجر المادينج قدر منّ [٤] ، أما أوزان حجر الدهنج فتتراوح ما بين عشرة أمناء وخمسة أمناء ومنّا [٥] ، أى أن القطعة الواحد من حجر الدهنج قد تصل إلى ٧,٧٣٥ كيلو جرام .

ولم يكن المَن هو المقياس الوحيد الذى توزن به الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول ، بل كان بعضها يوزن بالرطل خاصة الرطل البغدادي [*] أو العراقي ، وهو يساوي

[١] القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٤٢ .
[٢] د/ علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية . ص٢٨ .
[٣] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٢ .
[٤] المصدر السابق : ص٦٥ .
[٥] المصدر السابق : ص٦١ .
[*] هناك أيضاً الرطل الشامي وهو يساوي عند الجمهور (١٧٨٥ جراماً) والرطل المصري ويقدر بـــ (٤٤٩,٢٨ جراماً) . د/ علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية . ص٣٠ .

عند الجمهور (٣٨٢,٥ جراماً) [١] ، فكان حجر البجادق توجد منه القطعة قدر الرطل البغدادي [٢] ، وكان أكبر ما يرى من حجر الجمست قدر رطل . [٣]غير أن أغلب الأحجار الكريمة المرتفعة الثمن فى ذلك العصر ــ كما سيرد ذكر أسعارها لاحقاً ــ كانت توزن بمعيار آخر هو المثقال ، والذى يساوي بموازيننا المعاصرة ٥,٠٨٨ جرام [٤] ، فحجر الياسب يجيء منه ما يزن مثقالين [٥] ، وحجر المكيّ يكون أكثره ثلاثة مثاقيل [٦] ، ومثله حجر الكركند. [٧]

أما الياقوت فتكون القطعة منه خمسة مثاقيل [٨] ، ويوجد من الزمرد القطعة من خمسة مثاقيل إلى وزنة قيراط [*] وأقل [٩] ، وحجر الأفلوج يجيء منه خمسة مثاقيل [١٠] ، أما حجر البجاذى فتجيء منه القطعة ما يزن عشرة مثاقيل [١١] ، أما حجر الفيروزج فتصل القطعة منه ــ أحياناً ــ إلى اثنين وعشرين مثقال ونصف [١٢] ، أى نحو ١١٤,٤٨ جراماً .

وقد نص البيروني صراحة على أن الرسم فى اعتبار أوزان اللآلئ هو بالمثاقيل [١٣] ،

---

[١] المرجع السابق نفس الصفحة .

[٢] المغربي : قطف الأزهار . ص٨٤ .

[٣] المغربي : قطف الأزهار . ص٩٢ .

[٤] د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص٥١١ .

[٥] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاقما . ص٥٦ .

[٦] المصدر السابق : ص٥٧ .

[٧] المصدر السابق : ص٥٢ .

[٨] المصدر السابق : ص٤٥ .

[*] القيراط : جزء من أجزاء الدينار ، ومقداره عند الجمهور يساوي (٠,١٧٧١ جراماً) د/ علي جمعة : المكاييل والموازين . ص٢٣ .

[٩] شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٦٨ .

[١٠] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاقما . ص٥٣ .

[١١] المصدر السابق : ص٦٤ .

[١٢] الجواهر وصفاقما : ص٧٢ .

[١٣] الجماهر فى الجواهر : ص٢١٤ .

وقد اختلفت أوزان اللؤلؤ بحسب اختلاف مكان الغوص عليه ففي مغاص خارك تخرج الواحدة وزن مثقال ونصف [١] ، أما العُماني فيقع فيه وزن مثقالين [٢] ، أما اللؤلؤ القلزمي ــ لؤلؤ البحر الأحمر ــ فوزن أكبره خمسة مثاقيل . [٣]

هذا وأحياناً لا تصل أوزان بعض الأحجار الكريمة إلى شئ يذكر ، لكنها ذات قيمة عالية برغم صغر وزنها مثل حجر الماس ، فغالباً ما يوجد منه قطعاً صغيرة بقدر الفلفل ونحوه [٤] ، وأحياناً ينتهي وزن الزمرد إلى حد العدسة فى المقدار . [٥]

صناعة وتشكيل الأحجار الكريمة

اشتهرت بغداد بالصاغة وبلغت صناعتهم باعاً طويلاً فى الدقة والجمال حتى إنهم كانوا يرصعون الزجاج بالجواهر ، ويكتبون عليه بالذهب [٦] ، فكان الصاغة وتجار الجواهر يتولون تصنيع هذه الأحجار الكريمة [٧] ، فهم أرباب صناعة وصياغة وتجارة أدوات وحُلي الذهب والفضة ، ونحوهما من المعادن والجواهر الكريمة والنفيسة ، والصّاغة : تطلق على مكان عملهم أيضاً . [٨]

بالاطلاع على قائمة الجواهر التى تملأ كنوز العباسيين فى بغداد أو الفاطميين فى القاهرة ، يمكن تكوين فكرة صحيحة عن مهارة الصناع المشتغلين بالذهب والفضة والأثاث والأبنوس والجواهر وصانعي الأسلحة ... فكان الأمراء العرب يحبون الأثاث المصنوع من

---

[١] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٣٣ .
[٢] المصدر السابق : ص٢٦ .
[٣] المصدر السابق : ص٣٦ .
[٤] ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص٦ .
[٥] المسعودي : مروج الذهب . جـ٢ ص٢٤ .
[٦] د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص٣٦٧ .
[٧] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٦٦ .
[٨] د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص٣٣٤ .

المعادن الثمينة " من ذهب وفضة " ومن الخشب الذكي الرائحة المزين بالأحجار الكريمة [١] .

يقول ابن خلدون [٢] : " الصنائع منها البسيط ومنها المركب ، والبسيط هو الذى يختص بالضروريات ، والمركب هو الذى يكون للكماليات ، والمتقدم منها فى التعليم هو البسيط لبساطته أولاً ولأنه مختص بالضروري ... فإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات ، كان من جملتها التأنق فى الصنائع واستجادتها " . فقد تقدم فن الصاغة لزيادة الترف فى المجتمع وكان الخلفاء عادة هم السباقون فى الترف . [٣] كان سوق الصاغة فى بغداد متفرداً بجماعة الفرس ، وقد بلغوا من الإجادة فى صناعتهم الغاية بحيث يرصعون الزجاج بالجواهر ، ويكتبون عليه بالذهب المجسم ويصنعون للملوك أقداحاً تقيّد الأبصار حسناً وإشراقاً ، ويتخذون على الجامات صوراً يحكمون صناعتها بالرسم إلى مماثلة الحقائق . [٤]

وقبل الحديث عن صناعة الأحجار الكريمة وتشكيلها تفصيلاً ، يجب أن نذكر بأن هناك حجراً لا غنى عنه فى الاستخدام لتشكيل الغالبية العظمى من الأحجار الكريمة وهو حجر السنباذج ، وهو حجر حديدي خشن الجسد فيه قوة وله سلطان على قطع الأحجار والمعادن كلها إلا الياقوت ... وجميع الحكاكين للجواهر يستعملونه فى الحك والجلاء . [٥]

---

(١) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ١ ص٥٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي . ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٦م . جـ٢ ص٨٥٦ ــ ٨٥٨ .

(٣) د/ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي فى القرن الرابع الهجري . ط ــ مركز الوحدة العربية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥م . ص١٢٨ .

(٤) جميل المدور : تاريخ العراق فى عصر العباسيين . ط ــ دار الآفاق العربية ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م. ص٢٥ .

(٥) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٧١ ــ ٧٢ .

أما عن صناعة وتشكيل اللؤلؤ ، فإن اللؤلؤ الدُّق وهو صغير الحجم أو غير تام النضوج فتكون عليه جلدة سوداء غليظة ، فتُحك تلك الجلدة بالمبرد (*) إلى أن يزول عنه السواد (١) ، بعد ذلك يثقب هذا الحبّ ، لأنه يزداد بحُسن التأليف فى النظم حسناً ورونقاً وقيمة ، ويثقب بالماس . (٢)

ذلك أن جدوى الجواهر هو التزين بها ، وأكثر ذلك بالتعليق فى بعض الأعضاء ، وذلك غير متأت إلا بالثقب فيه ... وإذا ثقبت اللآلئ قيل لها مثاقيب(٣) أما عن مكان ثقب هذه اللآلئ وتشكيلها ، فإن معظم اللآلئ الواردة من الهند إلى البلاد المسيحية ، كانت تثقب فى بغداد (٤) ، كان اللؤلؤ المنفخ يستعمل مع الجواهر فى التيجان (٥) ويستعمل اللؤلؤ غير المثقوب فى المعاجين وفى الأكحال ، ولا يستعمل فيه إلا مسحوقاً وتقصد صغار اللؤلؤ فى ذلك دون الكبار لرخص الأثمان . (٦)

كان الصاغة فى بغداد يصنعون من اللؤلؤ أشكالاً عده غير حُلي النساء ، فقد كان لدى الخليفة المأمون سبحة من الدّر ... وكان لأم جعفر زبيدة زوجة الرشيد سبحة من الدّر، كان سراؤها خمسين ألف دينار . (٧)

كان المرجان يُحك على حجر أصم ، ويجلى بالسنباذج المطحون بالماء فى رحى ، ثم يلقى عليه السنباذج فى تلك الرحى ، ويثقب بالحديد الفولاذ ، وإن ألقى فى الخل إبيض ،

(*) برد الحديد بالمبرد ونحوه من الجواهر يبْرده : سحله ـ والمبرد هو الآلة المعروفة ـ ابن منظور : لسان العرب . مادة برد .
(١) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٢٧ .
(٢) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص٨ .
(٣) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢١٨ .
(٤) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٥٧ .
(٥) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٢٨ .
(٦) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢١٨ ــ ٢١٩ .
(٧) المصدر السابق : ص٢٥٧ .

وإن ألقى فى الدهن رجع إليه لونه [١] ، فالمرجان لا إشراق لـه قبـل جليـه ولا لـون [٢] ، كـان جزء من ناتج هذه المغاصات للمرجان يبقى فى الغرب ، فيصنع منـه جـواهر متنوعـة الأشـكال، ولكن هذا الجزء هو الأقل ، أما الباقي فيصدر [٣] ، أما عـن مكـان صـناعة وتـشكيل المرجـان فذكر ابن الوردي بأن مدينة سبته بها شجر المرجان الذى لا يفوقـه شـئ حـسناً وكثـرة ، وبهـا سوق كبير لإصلاح المرجان . [٤]

بالنسبة لصناعة وتشكيل الياقوت فهو حجر صلب شـديد اليـبس رزيـن صـاف [٥] ، وعلاجه بالنار بأن يؤخذ حصى مـن حـصى تلـك الجزيـرة ــ جزيـرة سـرنديب ــ أو الأرض فيدق ويسحق بالماء حتى يلزم بعضه بعضاً ، ويطلى علـى ذلـك الحجـر حـتى يغيـب فيـه ، ثم يوضع على حجر ويحاط حولـه حجارة ويلقى عليه الحطب ، ثم ينفخ عليـه مـا بـين سـاعة إلى عشرين يوماً وليلة ، لا يقطع فيه النفخ والنار على قدر مـا فيـه مـن الـسواد ، وذلـك بـبلاد الهند، وقد يعالج بعضه ببلاد العرب [*] وذلك قليل . [٦]

وبعد أن يجلى الياقوت ويزول ما به من سواد ، يثقب بالمـاس [**] وذلـك بـأن تركـب منه قطعة فى طرف مثقاب حديد ثم يثقب به كما يثقب الخـشب [٧] ، ولأشـكال الفـصوص مـن

---

[١] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٩ .

[٢] المقدسي : أحسن التقاسيم . ص٢٣٩ .

[٣] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١١٢ .

[٤] خريدة العجائب : ص١٦ .

[٥] المصدر السابق : ص١٢٤ .

[*] ذكر يحى بن ماسويه فى موضع آخرــ وهو من رجالات العصر العباسي الأول ــ بأن حك الياقوت كـان بالهنـد والعراق . انظر : الجواهر وصفاتها . ص٤٥ .

[٦] المصدر السابق : ص٤٤ ــ ٤٥ .

[**] الياقوت بصلابته يغلب ما دونه من الأحجار ، ثم يغلبه الألماس فلا يقطعه غيره قطعاً وخدشاً لا كسراً . الـبيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٢٢ .

[٧] الغزولي : مطالع البدور . جـ٢ ص١٤٥ ــ ١٤٦ .

الياقوت أسماء عند الجوهريين فأولها المربع والمدور والمثمن (*) والمسدس ، فهذه أشكال الفصوص المعروفة ، وأفضل أشكالها المثمن . (١)

حجر الماس لا يلتصق بشئ من الأحجار إلا هشمه وكسره ، غير الأسرب (**) ، فإنه إذا ضرب بالأسرب كسر الماس ، ولو جعلته ألف قطعة كان جميع قطاعه مثلثة ، وكلما كان حجمه أكبر كان تأثيره أقوى (٢) ، وأهل العراق وخراسان لا يفرقون بين ألوانه ؛ لأنهم إنما يستعملونه فى ثقب الجواهر خاصة (٣) ، حيث يضعون منه قطعة فى طرف المثقب ويثقبون به الأحجار الصلبة والجواهر (٤) ، كما يثقب به القوارير وينقش به أيضاً القوارير والفصوص. (٥)

ويتخذ منه الملوك فصوصاً لخواتم يلبسونها (٦) ، وقد عدد البيروني استعمالات الماس وطرق تشكيله وقد بناها على حسب لون الماس نفسه فقال عن ذلك (٧) : " ما رؤى فيه أبيض فهو المختار ، ويستصلح لحلية السيوف والقلائد (*) وترصيعها ، ولجميع الحلي التى يحلى بها أعالي البدن ، والذى يرى فى ذلك أحمر فهو صالح لتحلية المناطق وما مرجعه إلى أواسط البدن ، والذى يرى فيه أصفر ، فللفصوص الخواتيم والأسورة والمعاضد ، والذى يضرب إلى السواد فللخلاخيل وللأرجل " .

(*) المثمن : هو سطح يحيط به ثمانية أضلاع متساوية . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص٥١٢ .

(١) الحلبي : سر الأسرار . ص٦ .

(*) الأسرب : هو الرصاص ــ أو الآنك ــ ومن خواصه أنه يكسر الماس . الأبشيهي : المستطرف . جـ٢ ص٣١٠ .

(٢) القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٥ ــ ١٥٦ .

(٣) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص٦ .

(٤) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص١٢٣ .

(٥) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٤٧ .

(٦) المسعودي : أخبار الزمان . ص٥٠ .

(٧) الجماهر فى الجواهر : ص١٧١ ــ ١٧٢ .

(*) القلائد : جمع والمفرد قلادة ، أصلها كل ما يفتل ، ثم استعملت فى كل ما يجعل حول العنق مفتولاً من خيط أو فضة أو ذهب أو نحوهما من أنواع الحلي . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص٤٦٤ .

أما الزمرد فهو حجر لين رخو ، يكتلى إذا ورد على النار [١] ، فيعالج أولاً بالسنباذج على الأسرب ، ثم يجلى [٢] ، وقد ذكر المسعودي رواية تفيد بأن أماكن جليه وتشكيله كانت فى مصر ، يقول فى هذه الرواية [٣] : " إن الزمرد المستخرج من مصر تتباهى ملوك السند والهند والزنج والصين فى استعماله ولباسه فى تيجانها وأكاليلها وخواتمها أسورتها" . ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أن الصاغة فى مصر كانوا يستخدمون الزمرد فى تزيين وترصيع التيجان والأكاليل والخواتم والأساور .

كان العقيق الهندي يؤتى به من قرية يقال لها بروص ــ أو بروج ــ يلتقط من أودية بها ، ثم يعمل له تنانير ، ويمد طُرّيقة ــ حجارة بعضها فوق بعض ــ منه ، وطريقة من اخثاء البقر ، فيفرش كذلك طريقة بعد طريقة ، حتى يملأ ، ثم يشعل فيه النار ، ويترك حتى يحترق الأخثاء ، ويكون فيه كذلك أياماً ، ثم يترك حتى يبرد ، فإذا برد أخرج وأحمل إلى البصرة حجارة جوهر غير معمول فيكسر ، وهو ما بين وزن درهم إلى رطل ، ثم يلقط بحديدتين ، ولقطه أن تقام له حديدة حادة الطرف ، فيوضع ما يراد كسره أو لقطه من الحجر على ذلك الطرف فيوضع ويضرب الحجر بمطرقة صغيرة فيقلع الموضع الذى يراد قلعه ، ويحك بعد ذلك على حجر ، ثم يحك على الأسرب بالسنباذج ، ثم يلين الأسرب والسنباذج ثم يجلى على خشب العشر بجلاء البلّور . [٤]

أما العقيق البقراني ــ موضع فى اليمن ــ فيجلب إلى البصرة [*] قطع حجارة ، والحجر ما بين أربعة مثاقيل ونصف إلى العشرين رطلاً ، فما كان من كبار كسر ، ثم يجفف

---

[١] المسعودي : مروج الذهب . جـ٢ ص٢٤ .
[٢] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٥ .
[٣] مروج الذهب : جـ٢ ص٢٣ .
[٤] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٦ ــ ٦٧ .
[*] ذكر ابن الفقيه بأن العقيق يعمل بعضه باليمن ويحمل بعضه إلى البصرة ، أى أن أماكن صناعته وتشكيله تختلف عن أماكن تواجده . انظر : مختصر كتاب البلدان : ص٣٦ .

فى الشمس أياماً فى أشد ما يكون من حر الشمس ، ثم يسخن له التّنور ــ وهو كتّنور الخبز ــ ببعير الإبل ، وهو ما يسخن به ، أو بقصب أو بخشب ، حتى يحمر أشد ما يكون ، ثم يلقى فيه ما بين العشرة أرطال إلى العشرين رطلاً أكثره ، ويترك فيه يوماً وليلة حتى يبرد التنور ، ثم يعمل فيه بمثل عمل الهندي ، وتبطن الفصوص من أسافلها .[١]

أما عن استعمالات العقيق عموماً سواء كان هندي أو يمني ، فإنه إذا سحق وجلي به الياقوت حسنه وصيره مشرقاً نيراً [٢] ، كما تنحت منه الموائد والقعاب والمشارب وأمثالها بأرض الترك ، وإذا راقت نقوشه عمل منها نصب السكاكين والخناجر [٣]،ويعمل منه أواني كبار وصغار ، حتى الخاتم والخرزة [**] والفص [٤] ، وهذه الفصوص يعمل منها فصوص برسم ــ بشكل ــ الملوك والأعيان ولها أثمان كثيرة ، إذ يخلص الصناع منها كتابة تخالف لونها أرضها ، ولا يكادون يتمكنون من الكتابة إلا من أن يكون وجه الفص غير مسطح .[٥]

بالنسبة لحجر البلّور فربما يعالج فيذوب كما يذوب الزجاج ، ويوجد البلّور فى معادنه ــ مناجمه ــ وعليه غشاء رقيق ، فإذا قشر عنه خرج كأنه لون الماء المقطر الصافي [٦]، ويخرط البلّور والزجاج بالسنباذج [٧] كما أنه يقبل الصبغ [٨] ، أما عن أماكن صناعة البلّور، فيقول المغربي عن ذلك [٩] :" أخبرني بعض الحكاكين بمدينة الإسكندرية أنه يعالج البلّور " ،

---

[١] يحي بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٨ ــ ٦٩ .

[٢] القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٤٢ .

[٣] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٨٥ .

[**] الخرز : فصوص من حجارة واحدها خرزة ، وقيل الخرز : فصوص من جيد الجوهر ورديئه من الحجارة ونحوه . ابن منظور : لسان العرب . مادة خرز .

[٤] شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٦٩ .

[٥] الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٨ .

[٦] المغربي : قطف الأزهار . ص٧٩ .

[٧] الرام هرمزي : عجائب الهند . ص١٣٦ .

[٨] الغزولي : مطالع البدور . جـ٢ ص١٥٩ .

[٩] قطف الأزهار : ص٨٠ .

أى أن الإسكندرية كانت من المدن المهتمة بصناعة وتشكيل البلّور ، وكان البلّور يجلب أيضاً من جزائر الزنج [*] إلى البصرة ، ويتخذ بها منه الأواني وغيرها ، وفى موضع العمل هناك مقدر توضع عنده القطع الكبار والصغار فيروى فيها ويهندس أحسن ما يكون أن يعمل منها، وأوفقه للنحت . [١]

كان يصنع منه الخواتم ، وبعض أنواع القناديل ، وبعض أدوات الزينة [٢] لأن البلّور أنفس الجواهر التى تعمل منها الأواني لولا تبذله [٣] ، فيصنع منه كل عجيب من الأواني [٤]، كما يجلب من كشمير [*] بلور إما قطاع غير منحوتة ، وإما منحوت منها أوانٍ وأقداح وتماثيل الشطرنج وكلاب الزد وخرز بقدر البندق . [٥]

كان حجر اللازورد يعمل كما يعمل العقيق ، ويجلى على المسن بماء [٦] ، ويبرد ويحك ويطحن ويستعمل فى الأصباغ [٧] ، والمطحون منه لا يحتاج إليه إلا فى التزويق فقط[٨]، ذكر ابن رسته أنه فى بغداد مسجد جامع مبنى بالجص والآجر مرفوع باساطين الساج

---

[*] جزائر الزنج : أو بحر الزنج هو بحر الهند بعينه ، وبلاد الزنج منه فى نحو الجنوب ، تحت سهيل وله بر وجزائر كثيرة كبار واسعة . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٣٤٣ . ربما يقصد بذلك جزيرة مقديشيو أو بلاد سواحل أفريقيا الشرقية .

[١] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٩٥ .

[٢] د/ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي . ص١٢٨ .

[٣] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٩٤ .

[٤] الغزولي : مطالع البدور . جـ٢ ص١٥٨ .

[*] كشمير : من قرى نيسابور ـ وهى كشمير الحالية المحتلة من قبل الهند وجزء منها تابع لدولة باكستان ـ . الحموي : معجم البلدان . جـ٤ ص٤٦٣ .

[٥] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٩٥ .

[٦] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٢ .

[٧] الحلبي : سر الأسرار : ص٢٣ .

[٨] الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٨ .

ومسقف بخشب الساج ، مزوق باللازورد [١] ، كما يتخذ من اللازورد أيضاً الخرز [٢] ، ويعمل منه فصوص الخواتم . [٣]

أما الفيروزج فإن حجره يعمل المبرد فيه ، ولا يتغير فى النار والماء الحار . [٤] ويعمل منه فصوص [٥] ، وأهل العراق يؤثرون منه الممسوح ، أما أهل خراسان والهند فإنهم يستحبون المقبب المدور الشبيه بحبة العنب [٦] ، ولاشك أن هذه الأشكال السالفة الذكر إنما تدل على مدى دقة ومهارة الصناع وقدرتهم الفنية على تعدد هذه الأشكال لإرضاء جميع الأذواق .

وبالنسبة لبقية الأحجار الكريمة الغير مشهورة فى الاستعمال بين الناس فى ذلك الوقت فإن الغالب فى عملية صناعتها هو الجلي ، فجلي حجر الكركند كجلى الياقوت ، إلا الذى لا يقبل الجلاء [٧] ، وحجر المكي علاجه علاج الزمرد ، لكن لا يكون جلاؤه كجلي الزمرد [٨] ، والجمست يقطع ويحك كما يفعل بسائر الحجارة الشفافة كالزمرد وغيره [٩] ، والكرك أيضاً حجر أبيض شديد البياض قابل لشئ من الجلاء ... أما حجر الخماهن فجلاؤه بالسنباذج المحرق ، فإن غير المحرق منه لا يجلو الخماهن . [١٠]

---

[١] ابن رسته : الأعلاق النفيسة . ط ـــ دار صادر ـــ بيروت ـــ لم تذكر سنة الطبع . ص١٩ .

[٢] الخوارزمي : مفاتيح العلوم . ص٢٦١ .

[٣] الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٣٦٠ .

[٤] الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص١٤ ـــ ١٥ .

[٥] ابن الوردي : خريدة العجائب . ص١٥٤ . بتصرف بسيط .

[٦] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٧٧ .

[٧] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٢ .

[٨] المصدر السابق : ص٥٨ .

[٩] المغربي : قطف الأزهار . ص٩٢ .

[١٠] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٣٥٣ .

كانت هذه الأحجار الكريمة الثانوية أو الغير مشهورة وغيرها من الأحجار الأخرى لها استعمالات عديدة أيضاً ، فكان حجر العنبري تتخذ منه الملوك أواني[١] ، وحجر الدهنج يعمل منه الأجاوين ـ نوع من الأواني ـ والأخاوين ـ وهو ما يؤكل عليه الطعام ـ وما أشبه ذلك [٢] ، كما كان يتخذ من الدهنج أيضاً الفصوص والخرز [٣] ، ويعمل من حجر اليشم الخواتيم ونصب السكاكين . [٤]

من خلال هذا العرض السابق لصناعة وتشكيل الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول ، يتضح أن الدولة العباسية لم تهتم بتشجيع الناس على استخراج الأحجار الكريمة من مناجمها فقط ، بل كانت تعمل على تشجيع الصاغة وأرباب صناعتها على تشكيل هذه الأحجار الكريمة فى قطع فنية رائعة ، وقد تمثلت مظاهر هذا التشجيع فى شراء الخلفاء وكبار رجالات الدولة لهذه القطع الفنية بجميع أشكالها وصورها بمبالغ باهظة ـ سيذكر ذلك لاحقاً فى هذه الدراسة ـ مما شجع هؤلاء الصاغه على الإبداع وإخراج كل طاقاتهم الفنية فى هذه الأحجار الكريمة .

أسعار الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول

إن قيمة الجواهر ليس لها قانون ثابت على حال ، بل تتغير باختلاف الأمكنة ومضي الأزمنة [٥] ، كما أن الجوهر يحتمل الزيادة فى السوم سيما عند حضور الراغب [٦] ، أى أن أسعار الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول كانت تختلف من بلد إلى بلد فى أمصار الخلافة ، كما أنها كانت تختلف فى الأسعار حسب الاختلاف فى الأوزان ، ومدى جودة الحجر الكريم ذاته ، وكذلك درجة إقبال الراغبين فى شراءه أيضاً .

---

[١] القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٢ .
[٢] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦١ .
[٣] الخوارزمي : مفاتيح العلوم . ص٢٦١ .
[٤] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ٣١٧ .
[٥] الحلبي : سر الأسرار . ص١٠ .
[٦] الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٨ .

إن المرجان مثلاً تختلف قيمته فى الكساد والقلة والكثرة اختلافاً متفاوتاً وقيمته المتوسطة بديار مصر والشام [١] ، فكان من الطبيعي أن تكون أسعاره متوسطة فى مصر وبلاد الشام خاصة ، وذلك لقربهما من أماكن تواجده واستخراجه وهي بلاد المغرب الإسلامي ، وقد أكد على ذلك الدمشقي بقوله[٢] : قيمة المرجان بالمشرق غير قيمته بالمغرب ، وذلك لأجل القرب من المعادن ــ المناجم ــ " . وكانت بلاد الهند فى كل الأزمان موطن أثمن أنواع الأحجار الكريمة . [٣]

هذا وإذا كانت الدراسة قد ذكرت الأحجار الكريمة آنفاً حسب أهميتها ودرجة انتشارها فى بلدان الخلافة العباسية ، فإن المقام الآن يستوجب الحديث عنها حسب الأغلى ثمناً ثم الأرخص فالأرخص .

يأتي فى مقدمة الأحجار الكريمة الأغلى ثمناً فى العصر العباسي الأول حجر اللؤلؤ ، وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد التدحرج والاستواء .. والعماني أنفس وارفع من القلزمي ــ لؤلؤ البحر الأحمر ــ لأن العماني عذب نقي صافي والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير [٤] ، وهناك اللؤلؤ الذى يقال له اللوفيني ــ نسبة إلى بلدة فى الصين ــ قد يبلغ مائة ألف دينار ... واللؤلؤ القلزمي أكثر ما يبلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار ، وهناك لؤلؤة تبلغ وزنها مثقال ونصف ، تباع بعشرة آلاف دينار ، وهناك لؤلؤ يستخرج من الصين يبلغ وزن أكبره مثقالاً وأكثر ثمنه ألف دينار .

---

[١] الاشارة الى محاسن التجارة : ص١٧ .

[٢] المصدر السابق : ص١٠ .

[٣] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٦١ .

[٤] الجاحظ : التبصرة بالتجارة . ص١٢ .

أما اللؤلؤة الصلبة الشبيهة بالعظم والتي تزن ما بين دانق [*] إلى خمسة مثاقيل يبلغ أكبرها ألف دينار ، وهناك من اللؤلؤ الجيد تساوي الحبة منه مائة دينار ، أما الأصداف الميتة المتشققة على السواحل فيخرج منها حبة حسنة مثمنة تبلغ عشرة دنانير . [1]

أما عن أسعار الياقوت فى الدولة العباسية فإذا كان وزنه سدس مثقال ثلاثون ديناراً أو ثلث مثقال مائة وعشرون ديناراً ، أو نصف مثقال أربعمائة دينار والمثقال بألف دينار ، ومثقال ونصف بألفى دينار هذا ما تقرر فى أيام المأمون مع كثرة الجواهر فى ذلك الزمان [2] ، فارتفاع قيمته على قدر كبره وصغره [3] هذا بالنسبة للياقوت الأحمر ، أما باقي ألوان الياقوت فكثيرة الوجود ، وهي رخيصة وأثمانها معروفة عند أهل الخبرة بها فى سائر البلاد .[4]

أما أغلى الأحجار الكريمة ثمناً بعد اللؤلؤ والياقوت فى العصر العباسي الأول ــ على الرغم من عدم انتشاره وأهميته ــ فكان حجر الكركند ، كان ثمنه يبلغ فى أيام المهدي خمسة آلاف درهم ، وكان العارض له فيه عون العبادي[5] أحد الجوهريين فى العصر العباسي الأول.

على الرغم من أن الألماس يعد من أغلى الأحجار الكريمة فى الوقت الحالي ، إلا أنه كان رخيص الثمن فى العصر العباسي الأول وسعره الذى ذكرته المصادر التاريخية لا يتوافق مع ما له من شهرة فى الماضي والحاضر ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى كثرته فى ذلك العصر تماشياً مع رواية الحلبي الآنفة الذكر بأن الجواهر كانت كثيرة خاصة فى عصر الخليفة المأمون ، وإما لأنه كان شبيهاً بالزجاج والبلّور ، لذا كان الإقبال عليه ضعيفاً ، لذا أثر ذلك سلباً على سعره فى العصر العباسي الأول .

---

[*] الدانق : لفظ معرب مأخوذ عن اليونانية ، ومقداره سدس درهم ، وهو يساوي عند الجمهور (٠,٤٩٦ جراماً) . د/ علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية . ص٢٤ .

[1] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٣٢ ــ ٣٧ . بتصرف بسيط .

[2] الحلبي : سر الأسرار . ص١٠ .

[3] الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص١٣ .

[4] الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٤ .

[5] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٢ .

يقع الماس الجيد من الذى له شعاع قليل فى العراق ، فيبلغ خمسين ديناراً والذى للعمل يبلغ المثقال منه ثلاثين ديناراً على قدر عزته وكثرته . (١)

أما الفيروزج فيبلغ حجره خمسين ديناراً (٢) ، أى أن سعر الماس والفيروزج يكاد أن يكون سعراً موحداً ، أما حجر البيجادى فكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن (٣) ، ويكون بعشرة دنانير إلى نصف دينار (٤) ، وحجر العقيق اليماني الشديد الحمرة الذى يرى فى وجهه شبه الخطوط ، فكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود فى الثمن (٥) ، ويبلغ حجره الدينار والخمسة دنانير (٦) ، والزمرد الذى يعرف بالمّر ، هو أجودها وأغلاها ثمناً (٧) ، وقيمته تختلف بحسب طلابه وأغراضهم فى أشكاله ، فمنهم من يرغب فى الفصوص منه ، ومنهم من لا يريد إلا القضيب ، وكذلك تختلف إرادتهم فى أشكال الفصوص (٨) ، ويباع الحجر من الزمرد بخمسة دنانير إلى دينار (٩) أى أن سعره أيضاً متوافقاً مع سعر العقيق اليماني .

أما المرجان ـــ أو البسذ ـــ فيباع وزناً ما بين المثقال بدينار إلى مائة مثقال بدينار ، على قدر جوهره (١٠) ، وحجر الياسب يساوي الحجر منه دينار إلى ثلث دينار ، وحجر المكي يساوي نصف دينار إلى سدس دينار (١١) ، والخماهن والكرك حجران لا تكاد تكون

---

(١) الجواهر وصفاتها : ص٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ص٧٢ .
(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص١٥ .
(٤) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٤ .
(٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص١٥ .
(٦) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٦٧ .
(٧) المسعودي : مروج الذهب . جـ٢ ص٢٣ .
(٨) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٥ .
(٩) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٥ .
(١٠) المصدر السابق : ص٥٩ .
(١١) المصدر السابق : ص٥٦ ـــ ٥٧ .

لهما قيمة إلا كقيمة الخرز .[١]

هذا والجدول الآتي يوضح أسعار الأحجار الكريمة جملة فى العصر العباسي الأول حسبما جاء سعر بعضها فى المصادر التاريخية .

م	الحجر الكريم	متوسط سعر البيع	ملاحظات
١.	اللؤلؤ اللوفيني	١٠٠ ألف دينار	
٢.	اللؤلؤ القلزمي	٣٠ ألف دينار	
٣.	اللؤلؤ العادي	١٠ آلاف دينار	
٤.	اللؤلؤ الصيني	ألف دينار	
٥.	اللؤلؤة الصلبة	ألف دينار	
٦.	اللؤلؤ الجيد	مائة دينار	
٧.	لؤلؤ الأصداف الميتة	عشرة دنانير	
٨.	الياقوت (سدس) مثقال	٣٠ دينار	يعادل(٠,٨٤٨ جرام)
٩.	الياقوت (ثلث) مثقال	١٢٠ دينار	يعادل (١,٦٩٦ جرام)
١٠.	الياقوت (نصف) مثقال	٤٠٠ دينار	يعادل (٢,٥٤٤ جرام)
١١.	الياقوت مثقال	ألف دينار	يعادل(٥,٠٨٨ جرام)
١٢.	الياقوت مثقال ونصف	ألفين دينار	يعادل (٧,٦٣٢ جرام)
١٣.	الكركند	٥ آلاف درهم	
١٤.	الماس الشعاع	٥٠ دينار	

---

[١] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٣٥١ .

١٥.	الماس للعمل	٣٠ دينار	
١٦.	الفيروزج	٥٠ دينار	
١٧.	البيجاذى	١٠ دنانير إلى نصف دينار	
١٨.	العقيق اليماني	٥ دنانير إلى نصف دينار	
١٩.	الزمرد	٥ دنانير إلى دينار	
٢٠.	المرجان	دينار	
٢١.	الياسب	دينار إلى ثلث دينار	
٢٢.	المكّى	نصف دينار إلى سدس دينار	
٢٣.	الخماهن	لا يكاد يساوي شئ	
٢٤.	الكرك	لا يكاد يساوي شئ	

تجارة الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول

التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً [١] .

لما توفرت فى أيدي الناس الأموال بما كسبوا من الفتوح العظام ، تحولت طباعهم من الخشونة إلى نعومة العيش ، وأخذوا يتأثلون الكسب ويطلبون حاجات الترف من جميع البلدان بما تيسر لهم من أسباب الاتصال فى زمن الخلفاء ، فحملوا تجارة الدنيا إلى العراق ، فحملوا من الهند آنيتها ، ومن عيذاب اللآلئ ومن سرنديب اليواقيت وأشباهها والماس والدر والسنباذج الذى يعالج به الجوهر ومن البحر الغربي المرجان . [٢]

---

[١] ابن خلدون : المقدمة . جـ٢ ص٨٤٩ .

[٢] جميل المدور : تاريخ العراق فى عصر العباسيين . ص١١٦ ــ ١١٧ .

كانت ممارسة مهنة التجارة من أهم الأسباب التى شجعت العرب المسلمين على السفر إلى الهند والصين وبلدان أوروبية وإفريقية ، وجلب المزيد من البضائع الثمينة والنادرة مثل الحرير والقطن والتوابل والعطور والمعادن [١] ، ولما قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م اهتم الخلفاء العباسيون بالتجارة وشجعوا الرحلات البرية والبحرية إلى البلدان الأجنبية وخاصة بلدان الشرق الأقصى ، الأمر الذى أدى إلى ازدياد الرحلات إلى الهند والصين ، وقد شهدت الرحلات فى الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين نشاطاً بارزاً وذلك حين ولد عند العرب المسلمين علم جديد يسمى بعلم الجغرافيا . [٢]

اجتمعت كل الظروف والأحوال التى تشجع ازدهار التجارة فى العصر الذى ارتقى فيه العباسيون الأوائل عرش الخلافة ، فأعطوا التجارة حافزاً قوياً ، إما بطريق غير مباشر ، بحياة الترف التى كانوا يعيشونها فى بلاطهم ، وإما بطريق مباشر ببناء الطرق ، وتشييدهم مدينة فى قلب دولتهم ــ بغداد ــ أمست مهيأة بحكم موقعها المختار الملائم كل الملاءمة لأن تكون سوقاً فى الدرجة الأولى من الأهمية . [٣]

فقد فاضت فى المدن الإسلامية ينابيع الثروة الإسلامية ، وعاش الناس فى الرخاء والرغد بجوار الخليفة ورجال دولته ، ينالون جوائزهم وهداياهم ، ويبيعونهم السلع والجواهر والأقمشة وما إليها . [٤] حُكى أن رجلاً خرج من عمان ولا شئ معه ، وعاد ومعه مركب به مسك بألف ألف دينار، وثياب حرير وصيني بمثلها ، وجواهر وأحجار ظريفة بمثلها. [٥]

---

[١] سليمان التاجر : عجائب الدنيا . ص٧ . مقدمة التحقيق .

[٢] المصدر السابق : ص٨ . مقدمة التحقيق .

[٣] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ١ ص٤٣ .

[٤] جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي . جـ٢ ص١٧٢ .

[٥] الرام هرمزي : عجائب الهند . ص٨١ .

هذا ويمكن تقسيم عملية التجارة فى الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول إلى النقاط الآتية :

١- الاستيراد .

ذُكر آنفاً بأن الأحجار الكريمة لم تكن جميعها متوفرة فى بلدان الخلافة العباسية ، بل كان بعضها متواجداً فى البلدان المجاورة ، لذا دعت الحاجة إلى جلب هذه الجواهر إلى دولة الخلافة ، سواء فى صورة مادة خام ، أو تم تصنيعها فى موطنها الأصلي ، وهو ما يمكن أن يطلق عليه لفظ الاستيراد ، وهو أمر يتطلب العديد من التجار المهرة للقيام به ، لتغطية الطلب المتزايد عليها فى العصر العباسي الأول ، وكان أغلب هذه الجواهر المستوردة يتم جلبها من بلاد الشرق .

كان يجئ من البحر الشرقي من الصين ومن سرنديب ، الياقوت بألوانه كلها وأشباهه ، والماس والدر والبلّور والسنباذج الذى يعالج به الجوهر .[١] وكان الياقوت الأحمر يجلب من الهند[٢] ، وكان ملوك إقليم بذخشان يحتفظون لأنفسهم بالحق المطلق فى التصرف فى محصول الياقوت الأحمر ، ولا يتركون للتجارة إلا مقادير صغيرة منها ، وهي طريقة ممتازة للحفاظ على سعر مرتفع لها ، ومن ثم كانت هذه الحجارة الكريمة نادرة للغاية ومطلوبة بشدة.[٣]

وكان يؤتى من الهند بحجر الكرك[٤] ، ومن سرنديب بحجر الأفلوج[٥] وكان تجار العراق يتاجرون مع جزيرة سيلان ، فيشترون منها الأحجار وخاصة العقيق[٦] على الرغم

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك . ص٧٠ .

(٢) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص٢٥ .

(٣) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٦١ .

(٤) الحلبي : سر الأسرار . ص٤٦ .

(٥) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٣ .

(٦) د/ عبد العزيز الدوردي : تاريخ العراق الاقتصادي . ص١٧٠ .

من أنه كان متوفراً فى بلاد اليمن السعيد كما ذكر آنفاً .

أما اللازورد فكان يحمل إلى أرض العرب من أرمينية ، وإلى خراسان والعراق من بدخشان [(١)] ، وحجر الكركند وحجر المادينج كان يؤتى بهما من سندان [(*)] ، وكذلك حجر المكّى كان يؤتى به من بلاد الهند مما يلي سندان [(٢)] ، وكان زمرد ساحل الهند الشرقي ينتقل إلى المغرب عن طريق عدن ومكة ، وكان بالمقابل زمرد مصر العليا وناب الفيل من الحبشة يطلب من أمراء الشرق الأقصى . [(٣)]

ويحمل من أرض الهند نوع من الزمرد يلحق فى النور والخضرة والشعاع الزمرد المصري ، إلا أنه حجر صلب ، ولا يفرق بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الأنواع الأربعة ــ المستخرجة من مصر ــ إلا ذو دراية فطن أو ماهر فيه ، وهذا النوع الهندي يعرفه أصحاب الجوهر بالمكي ؛ لأنه يحمل من أرض الهند إلى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ، ويؤتى به مكة . [(٤)]

٢- التصدير .

لم تكن عملية التجارة فى الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول تقوم على الاستيراد من خارج حدود الدولة العباسية فقط ، بل كانت التجارة فيها تقوم على تصديرها أيضاً إلى الخارج ، هذا فضلاً عن تصديرها وتبادل التجارة فيها فى الأقاليم الداخلية للدولة العباسية .

كانت لآلئ الخليج الفارسي تحتل المكانة الأولى فى السوق الأوروبية . [(٥)]

---

(١) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٣١١ .

(*) سندان : مدينة ملاصقة للسند بينها وبين الدبيل ــ فى باكستان حالياً ــ . الحموي : معجم البلدان . جـ٣ ص٢٦٧ .

(٢) يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاقا . ص٥٢ ــ ٦٥ . بتصرف بسيط .

(٣) د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص٣٧٣ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب . جـ٢ ص٢٥ .

(٥) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٥٧ .

وكان الزبرجد الفائق يجلب من مصر [١] ، ويحمل منها إلى سائر الدنيا[٢] فهناك نوع من الزمرد الذى يستخرج من مصر يعرف بالبحري ، ومعنى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزنج والصين ترغب فى هذا النوع من الزمرد [٣] ، فقد كان يحمل إلى الهند الزمرد الذى يرد من مصر مُركباً فى الخواتم مصوناً فى الحقاق [٤] ، أى أنه لم يكن يتم تصديره إلى الهند كمادة خام ، بل كمادة مصنعة ومحفوظة فى حقاق أيضاً .

هناك نوع آخر من الزمرد المستخرج من مصر يعرف بالمغربي ، ومعنى هذه التسمية، وإضافتهم إياه إلى المغرب هو أن ملوك المغرب من الإفرنجة والأندلس والصقالبة والروس يتنافسون فى هذا النوع من الزمرد [٥] ، وأموال هذا المعدن تقع إلى مصر [٦] ، أى أن العائد المادي من عملية التصدير هذه فى الشرق والغرب كان ينتفع به تجار مصر .

أما الفيروزج فكان منجمه فى جبل نيسابور ، ومنه يحمل إلى سائر البلاد[٧] ، ويتحف به الملوك والسادات [٨] ، وتحدث الإصطخرى عن أنواع التجارات التى تخرج من بلاد المغرب الإسلامي فذكر منها الخدم والجواري واللّبود المغربية والمرجان [٩] ، فقد كان البُسذ ــ المرجان ــ يحمل إلى الهند. [١٠]حيث كان المرجان مطلوباً بالأخص فى جنوب آسيا حيث يباع بأسعار مرتفعة للغاية ، إذ كان يصدر إلى الهند والهند الصينية حوالي ثلثى

---

[١] الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص٢٧ .
[٢] القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص١٨ .
[٣] المسعودي : مروج الذهب . جـ٢ ص٢٣ .
[٤] السيرافي : رحلة السيرافي . ص٩٤ .
[٥] المسعودي : مروج الذهب . جـ٢ ص٢٣ .
[٦] ابن حوقل : صورة الأرض . ص٥٠ .
[٧] الغزولي : مطالع البدور . جـ٢ ص١٥٦ .
[٨] ابن الوردي : خريدة العجائب . ص١٥٤ .
[٩] الإصطخرى : مسالك الممالك . ص٤٥ .
[١٠] السيرافي : رحلة السيرافي . ص٩٤ .

محصول منطقة البحر المتوسط ... فقد كان المرجان سلعة عند العرب يمكن تصديرها دون خوف إلى الهند والصين . [١]

وكان اللازورد يرتفع من بلخشان [٢] ويؤتى به من بلاد العراق وهمذان وبلاد الموصل [٣] ، وكان " لازورد بغداد " شائعاً جداً فى تجارة العصور الوسطى [٤] .

أما حجر الجمست فكان يجلب من قرية يقال لها الصفراء [*] ، على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة الرسول ﷺ [٥] ، ومعنى يجلب أى يستورد من هذه القرية الحجازية إلى بقية بلدان الخلافة العباسية،وربما كان يصدر إلى خارجها .

٣ـ أسواق الأحجار الكريمة .

لاشك أن عملية الاستيراد والتصدير للأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول ، لم تكن تتم مصادفة أو جُزافاً ، بل لابد من وجود أسواق لها يستطيع التجار من خلالها إبرام عملية الشراء والبيع سواء فى الاستيراد أو التصدير ، وأن هذه الأسواق كانت متعددة أيضاً بتعدد مواطن وجود الأحجار الكريمة ذاتها .

إن الأسواق الرئيسية التى تمارس فيها تجارة الأحجار الكريمة من الشرق إلى الغرب، نجدها فى فارس وهرمز وشيراز وتبريز والسلطانية وبغداد وحلب ودمشق والإسكندرية والقاهرة [٦] .

---

[١] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١١٢ .

[٢] الإصطخرى : مسالك الممالك . ص٢٧٩ .

[٣] الحلبي : سر الأسرار . ص٤٦ .

[٤] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٦٠ .

[*] الصفراء : وادي من ناحية المدينة المنورة ، وهو واد كثير النخل والزرع والخير ، فى طريق الحاج ، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة . الحموي : معجم البلدان . جـ٢ ص٤١٢ .

[٥] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٧١ .

[٦] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ٤ ص١٦٥ .

كما لعبت دارين (*) دوراً مهماً إبان ازدهار تجارة اللؤلؤ فى منطقة الخليج العربي ، حيث كانت مركزاً تجارياً مهماً من مراكز التجارة التى كان يقصدها تجار اللؤلؤ بقصد البيع والشراء ، كما كانت تقصدها سفن الغوص على اللؤلؤ ، للتزود بالمياه والمؤن والعتاد (١) ، وكانت تؤام مدينة من مدن عمان يقع إليها اللؤلؤ فيشترى من هنالك . (٢) وكانت جزيرة قيس فى بحر فارس مرفأ مراكب الهند والفرس ومتقلب التجارة ومتجر العرب والعجم ، يجلب منها كل أعجوبة وقعت فى بلاد الهند. (٣)

وكانت عدن مرفأ مراكب الهند وبلدة التجار ومرابح الهند ، لهذا يجتمع إليها الناس ويحمل إليها متاع الهند والسند والصين والحبشة وفارس والعراق(٤) فقد كان الانتقال بالطرق البرية قليلاً بالنسبة إلى حركة الملاحة الكبرى بين البلاد العربية والهند والصين . (٥)

أما عن أسواق بيع وشراء المرجان ، فبعد أن يغوص التجار على المرجان منهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ، ثم يجلى فى أسواق لهم ويباع جزافاً رخيصاً (٦) ، فقد كان للتجار فى مدينة جبل طارق ــ الجزيرة الخضراء ــ أموال كثيرة من أقطار النواحي عند سماسرة وقوف لبيع المرجان وشراءه . (٧)

وكان من عجائب مدينة حلب ، سوق الزجاج ، فإن الإنسان إذا اجتاز بها لا يريد أن يفارقها ، لكثرة ما يرى فيها من الطرائف العجيبة والآلات اللطيفة تحمل إلى سائر البلاد

(*) دارين : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دارا ونصيبين ، كان فتحها سنة ١٩هـ . الحموي :معجم البلدان جـ٥ ص ٣٩ .

(١) د/ محمود قمر : دور البحرين فى الملاحة والتجارة البحرية . ص٤٥ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب . مادة تؤام .

(٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص٢٤٣ .

(٤) المصدر السابق : ص١٠١ .

(٥) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ١ ص٥٣ .

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم . ص٢٣٩ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض . ص٧٥ .

للتحف والهدايا ، وكذلك سوق المزوقين ففيها آلات عجيبة مزوقة [١] ، وكان يصحب القوافل اليونانية الذاهبة إلى مدينة حلب ، حراسة كافية لضمان أمنها حتى تصل إلى المدينة ، وكانت هناك قواعد تحدد العشور "الرسوم" التى تفرض على البضائع ، وفى قائمة هذه البضائع ، الذهب والفضة والمنسوجات الحريرية اليونانية والأحجار الكريمة واللآلئ . [٢]

وقد كثرت ثروة البصرة فى أيام العباسيين لاجتماع التجار فيها ، وتجاراقم تمتد شرقاً إلى الهند والصين ، وغرباً إلى أقصى بلاد المغرب ، وجنوباً إلى الحبشة ، وكانت السفن ترسو فى ميناها وتحمل أصناف التجارات ، وتكاثرت الثروة فيها بتكاثر الناس القادمين إليها للإتجار أو الإقامة [٣] ، وقد أورد السيرافي فى رحلته رواية طريفة تؤكد على أن مدينة البصرة فى العصر العباسي الأول كانت من أهم أسواق الأحجار الكريمة فى بلاد العراق ، خاصة تجارة اللؤلؤ ربما يكون ذلك راجعاً إلى قربها من عاصمة الخلافة العباسية بغداد موطن الثروات حينئذ ، يقول السيرافي عن ذلك [٤] : " إن أعرابياً ورد البصرة فى قديم الأيام ومعه حبة لؤلؤ تساوي جملة مال فصار بها إلى عطّار كان يألفه فأظهرها له وسأله عنها وهو لا يعرف مقدارها فأخبره أنها لؤلؤة ، فقال : وما قيمتها قال مائة درهم فاستكثر الأعرابي ذاك وقال : هل أحد يبتاعها منى بما قلت ، فدفع له العطار مائة درهم فابتاع بها ميرة لأهله ، وأخذ العطار الحبة فقصد بها مدينة السلام ــ بغداد ــ فباعها بجملة من المال واتسع العطار فى تجارته " .

كانت بغداد تجئ إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم ، إذ ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس إلا ويحمل إليها ، فهي مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها . [٥] وكان الحي التجاري

---

[١] القزويني : آثار البلاد . ص١٨٣ ــ ١٨٤ .
[٢] ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى . جـ١ ص٦١ .
[٣] جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي . جـ٢ ص١٧٧ .
[٤] رحلة السيرافي: ص٩١ ــ ٩٢ .
[٥] القزويني : آثار البلاد . ص٣١٥ .

الرئيسي فى بغداد فى الجانب الشرقي ، وكانت سوق الصاغة فى بناية فخمة .[١]

وقد حافظ الخلفاء العباسيون فى العصر العباسي الأول على استقرار أوضاع الأسواق التجارية فى بغداد ، حتى فى أصعب الظروف السياسية والحربية التى تعرضت لها المدينة فى العصر العباسي الأول ، فعندما اشتد الخلاف بين الأمين والمأمون ، كانت الحرب فى بغداد قائمة فى الجانبين جميعاً ، إلا أن الأسواق قائمة ، والتجار على حالهم لا يهاجمون ، وتجتمع على التاجر الواحد جماعة من أصحاب المأمون ، وجماعة من أصحاب محمد ـ الأمين ـ فلا يكون بينهم تنازع .[٢]

طبقة تجّار الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول

كان تجار بغداد فى نعمة وثروة ، خصوصاً باعة الجوهرات ، لأنها مما تطلبه المدنية[٣]، فقد تركت تجارة السلع الثمينة والجوهرات لأولئك الذين لهم ارتباط بالخليفة وحاشيته ورجالات الدولة .[٤]

وقد ذكر الطبري فى أحداث سنة ١٨٩هـ / ٨٠٤م ما يفيد بأن أكبر تجار الجواهر والأحجار الكريمة كانوا فى منطقة الكرخ ببغداد [*] ، وأن يحى بن خالد ابن برمك قد ساوم تاجرين على سفط [**] به جوهر بلغ ثمنه سبعة آلاف ألف درهم [٥] سبعة مليون درهم .

---

[١] د/ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي . ص١٥٦ .

[٢] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ لم تذكر سنة الطبع . جـ٢ ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

[٣] جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي . جـ٢ ص١٧٣ .

[٤] د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص٣٥٩ .

[*] كان السبب فى نقل أبي جعفر المنصور التجار من المدينة ـ بغداد ـ إلى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة ، أنه قيل لأبي جعفر : إن الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ، ولا يؤمن أن يكون فيهم جواسيس ، ومن يعرف الأخبار ، أو أن يفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق ، فأمر بإخراج السوق من المدينة . الطبري : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . ط ـ دار المعارف ـ لم تذكر سنة الطبع . جـ٧ ص٦٥٣ .

[**] السفط : الذى يعبئ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، والسفط كالجوالق ، والجمع أسفاط . ابن منظور : لسان العرب . مادة سفط .

[٥] تاريخ الطبري : جـ٨ ص٣١٤ ـ ٣١٥ .

أما عن أشهر من عرف بتجارة الجواهر والأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول فقد ذكر البيروني أسماء المشهورين من طبقة الجوهريين فى الأيام المروانية والعباسية فكان منهم: عون العبادي ، وأيوب الأسود البصري ، بشر بن شاذان ، صباح ويعقوب الكندي ، وأبي عبد الله الجصاص ، وقسيم ، وابن خباب ، رأس الدنيا ، وابن البهلول . [١] ومن طبقة تجار الجواهر أيضاً الإمام الثقة أبو عمر اليماني اللؤلؤي نزيل بغداد ، كان قاضياً على خراسان وأصله من اليمامة ، قدم بغداد ونزلها ، وكان صاحب جوهر ولؤلؤ لزم السوق ، وبقي حتى سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م [٢] ، ومنهم أيضاً أبي يعقوب إسحاق بن محمد مولى بن سدوس ، ولد بالبصرة سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م ، وكان صالحاً يتجر فى الجواهر . [٣]

ومن أشهر هؤلاء التجار السالفى الذكر ، ممن لهم علاقة بخلفاء بنى العباس ، أيوب الأسود الذى كان يبتاع الكركند للخليفة المهدي وكان رجلاً من أهل البصرة . [٤]

وكان هارون الرشيد شديد الولوع بالجواهر حريصاً على اقتنائها ، فبعث بالصباح الجوهري جد الكندي إلى صاحب سرنديب لابتياع جواهر فى ناحيته فأكرمه ملك سرنديب ورحب به وأراه خزانة جواهره . [٥]

ومن هؤلاء التجار الذين لهم علاقة بالخلفاء العباسيين ، تاجراً يسمى ربّاح وهو الذى باع لهارون الرشيد لؤلؤة اسمها حبة الثعلب كان قد وجدها أحد سكان البصرة على الساحل ، فلما وافى الرشيد البصرة حملها إليه رباح وكان هذا الرجل أفضل الجوهريين فى ذلك الزمان ، فلما رآها الرشيد أعجب بها وقال لربّاح: هل رأيت أحسن منها ؟

---

[١] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٠٤ .

[٢] الذهبي : سير أعلام النبلاء . تحقيق / شعيب الأرناؤوط . ط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٩٩٣م . جـ١٠ ص٣٢٦ .

[٣] ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨هـ . جـ٥ ص١٧٤ .

[٤] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٢ .

[٥] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٣٧ .

فقال ما رأيت أحسن منها ، ففرح بهذا القول.[1] أما الدرة المعروفة باليتيمة (*) فى المصادر التاريخية ، فإنما سميت اليتيمة لأنه لم يوجد لها أخت فى الدنيا ولا قرينة ، فإن مسلم بن عبد الله العراقي أحد من يجهز الغاصة إلى طلب اللؤلؤ فى خلافة الرشيد قد حصل عليها .[2]

وقد ذكر إلرام هرمزى قصة حصول هذا التاجر على الدرة اليتيمة ، وإن كان قد ذكر بأن اسمه مسلم بن بشر ، وليس مسلم بن عبد الله العراقي : فذكر بأنه كان من عمان ، وكان رجلاً مستوراً وكان ممن يجهز الغواصة فى طلب اللؤلؤ ، وكانت بيده بضاعة فلم يزل يجهر الرجال للغوص ولا يرجع إليه فائدة حتى ذهب جميع ما كان يملكه ولم يبق له حيلة ولا ذخيرة إلا خلخال بمائة دينار لزوجته ، فتلطف بها وأخذ الخلخال وصرفه وجهز بجميعه الرجال إلى الغوص وخرج معهم ، فأقاموا يغوصون تسعة وخمسين يوماً ويخرجون الصدف ويفتحونه فلا يحصل لهم شئ وفى آخر يوم من الستين حصل بيده درتان إحداهما اليتيمة والأخرى دونها بكثير فحملها إلى الرشيد ، وباع اليتيمه بسبعين ألف درهم (*) ، والصغرى بثلاثين ألف درهم وانصرف إلى عمان بمائة ألف فبنا بها داراً عظيمة واشترى ضياعاً واعتقر عقاراً وداره معروفة بعمان .[3]

هذا ولم يكن مسلم بن عبد الله العراقي ، هو التاجر الوحيد الذى أثرى من تجارة اللؤلؤ ثراء فاحشاً ، بل كانت تجارة الأحجار الكريمة عموماً تدرى على أصحابها مالاً وفيراً ، من ذلك ما ذكره ابن حوقل بأن العاملين فى المرجان ــ أى فى استخراجه وتجارته ــ يكثرون

---

(١) الحلبي : سر الأسرار . ص٢٢ .

(*) كان وزن الدرة اليتيمة ثلاثة مثاقيل وقيراط ، وقيل دون الثلاثة بشئ يسير . المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) ابن الزبير : الذخائر والتحف . تحقيق د/ محمد حميد الله . ط ــ دائرة المطبوعات ــ الكويت سنة ١٩٥٩م . ص١٧٧ .

(*) ذكر ابن الزبير بأن الرشيد اشترى الدرة اليتيمة بسبعين ألف دينار ــ وليس درهماً ــ وكذلك الصغيرة بثلاثين ألف دينار . المصدر السابق : ص١٧٧ .

(٣) الرام هرمزي : عجائب الهند . ص١٠١ ــ ١٠٣ .

الأكل والشراب ، والخلاعة ، ولهم بها مكاسب وافرة وينتبذون بنبيذ العسل فيشربونه من يومه ويسكرهم الإسكار العظيم . [١]

وكان بعض تجار الأحجار الكريمة غير أمين فى تجارته فقد كان البعض منهم يغش فى تجارة الأحجار الكريمة ، مستغلاً التشابه فى ألوان الأحجار الكريمة فيدلس بعضها ببعض ليستفيد بنفس الأسعار بين الأحجار الأصلية وأشباهها ، فقد كان الزمرد ــ عموماً ــ المدلسون يتحيلون فى التشبه به أكثر من الياقوت [٢] ، فحجر الياسب شبيه بالزمرد ولا يكاد يعرفه إلا البصير الناقد ، وفرق ما بينهما أنه إذا وضع على البطانة ــ الكورة ــ نقص ماؤه وصار إلى السواد والصفرة أيضاً ، والمكي يغالط به الزمرد فى الحلي واللبس . [٣]

وكان الخرين شبيه بالياقوت ويغالط به ، ولا بقاء له على النار إلا على غاية ، على قدر صلابته واسترخائه ، وقد يشتريه التجار بحساب الياقوت ويغالطون به ، ويقع من الأفلوج نوع أحمر شبيه بالياقوت الأحمر يغالطون به ، وقد يباع الحجر منه بثلاثة آلاف دينار ، ولا يبصره إلا البصير ، حتى يحكه بالياقوت الأحمر ، فيحكه . [٤]

فقد كانت الأشباه فيما مضى تباع فى عدد اليواقيت وتقيم كقيمها ، وأن أيوب الأسود البصري كان يبيع الكركند والجربز والأبلج من الخليفه المهدي بألوف الدنانير على أنها يواقيت ، حتى أطلعه عون العبادي ــ من بنى سليم ــ على تمويه أيوب ، وأعلمه أن هذه الأشباه إذا دخلت النار لا تصبر عليها صبر الياقوت الأحمر الخالص ، فإنه يزداد بها حسناً وجودة ، فأدخل المهدي أحجار كل واحد منهما إلى النار فاحترق [٥] ، ومعنى هذا أن الخليفة العباسي المهدي ذاته قد تم خداعه ومغالطته فى الجواهر ، وبيع له أشباه اليواقيت على

---

[١] ابن حوقل : صورة الأرض . ص٧٥ .
[٢] الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٥ .
[٣] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٦ ــ ٥٧ .
[٤] المصدر السابق : ص٥١ ــ ٥٣ .
[٥] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٢٧ ، يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥٢ .

أنها يواقيت ، وهذا فى حد ذاته يؤكد على أن عملية الغش فى الجواهر من قبل التجار كانت موجودة وبكثرة فى ذلك العصر ، هذا مع العلم بأن المصادر التاريخية لم تمدنا بأي معلومات عن موقف الخليفة العباسي من هذا التاجر الذى خدعه فى آلاف الدنانير .

وقد كان تجار الأحجار الكريمة يخدعون فى بعض الجواهر بسبب عدم معرفتهم الجيدة ببعضها ، فقد كان أهل العراق وخراسان لا يميزون بين أنواع الألماس وألوانه ، وكلها كانت عندهم سواء بمثابة واحدة ، غير أنهم كانوا يبذلون جهداً مشكوراً فى التغلب على الغش فيها فكان من عادة الجوهريين أن يجعلوا الجوهر فى الفم ويرطبوه ، نفياً لما عسى غشى وجهه من غبار أو هباءات ، وصقلاً له .[١]

أسباب اقتناء الأحجار الكريمة

الجواهر الثمينة ترغب فى اقتنائها الملوك والسلاطين لعظم الثمن وخفة المحمل والمباهاة بها وعدمها عند العامة ، وما كان كذلك فنظر مالكه إليه وتقليبه إياه يسره ويبهجه ويشرح صدره ويطيب نفسه فهو يزداد به فرحاً .[٢] فإذا كانت هذه هي أسباب اقتناء الأحجار الكريمة عامة ، فإنه يمكن حصر أسباب اقتناءها فى العصر العباسي الأول على النحو الآتي :

١- جمال الأحجار الكريمة .

من أهم الأسباب التى كانت تدعو إلى اقتناء الأحجار الكريمة بشراءها ودفع الأثمان العالية فيها سواء فى العصر العباسي الأول ، أو فى أى عصر ومصر ، هو جمال الأحجار الكريمة فى حد ذاتها وحسن صنعتها من الخالق سبحانه وتعالى ، وميل النفس البشرية بوجه عام إلى اقتناء كل ما هو حسن وجميل .

---

[١] المصدر السابق : ص١٧٤ بتصرف بسيط .

[٢] الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٣ .

فلم يكن لحجر البلخش منفعة كالياقوت ، بل كان يشترى لحسنه [١] . وكان الملوك يتخذون الماس عندهم لشرفه [٢] ، أما اللازورد فكان يجرى عند الملوك مجرى العقيق ، فلا يتخذ منه إلا ما كان حسناً جوهره ، واتخذ منه آله مليحة لا تتمكن العامة من اتخاذها[٣]، فإن الملوك تتزين بصنوف الزينة المثمنة ليجلوا فى القلوب جلالة الأموال فى العيون ، فتتوجه إليهم الأطماع وتناط بهم الآمال . [٤]

٢- القيمة المادية للجواهر .

إن هذه الأحجار الكريمة أصبحت فى عصر تميز بنمو الحركة التجارية وقوتها ، بديلاً مهماً لأنواع العملات المعدنية ، فهي أكثر قيمة وأخف حملاً [٥] ، وكان الملوك أحوج الناس إلى جمع الأموال ؛ لأنهم بها يملكون الأزمة ويسيرون بمكانها الأعنّة [٦] ، قال بعض آل مروان ــ بنى أمية ــ : لم يكن لنا فى هربنا شئ أنفع من الجوهر الخفيف الثمن الذى لا تجاوز قيمته الخمسة دنانير [٧] ، أى أن سبب اقتناء الجواهر فى عصر بنى أمية كان بدافع الحاجة إليها فى أوقات الشدة نظراً لارتفاع ثمنها وخفتها فى الحمل عن الدراهم والدنانير .

وكانت هذه الغاية هي ما نصح به أحد بنى أمية الخليفة العباسي المنصور فقد أتى برجل من بنى أمية إلى الخليفة المنصور فقال له : إنى أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الأمان ، قال : نعم ، قال : من أين أتى بنو أمية حتى انتشر أمرهم؟ قال : من تضييع الأخبار ، قال : فأى الأموال وجدوها أنفع ؟ قال : الجوهر ، قال: فعند من وجدوا الوفاء ؟ قال : عند

[١] ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص٥ .
[٢] الإبشيهي : المستطرف . جـ٢ ص٣١١ .
[٣] الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٨ .
[٤] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٩٦ .
[٥] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٥ . مقدمة المحقق .
[٦] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٩٧ .
[٧] المصدر السابق : ص١٣٩ .

مواليهم [١] ، فقد آثروا العين ــ الذهب ــ على الورق ــ الفضة ــ فى الاصطحاب وخف عليهم محمله ، وحين لم يأمنوا الواقعات النائبة سجالاً ، وقد عرف أن النجاء فيها بالقلة والخفة ، مالوا إلى الجواهر ، إذ أن حجمها عند حجم الذهب أقل قدراً ، فاصطحبوها معهم، وقرنوها بأنفسهم [٢] ، وربما يكون هذا السبب من أكبر الأسباب التى دعت الخلفاء وكبار رجالات الدولة بوجه خاص إلى اقتناء هذه الأحجار الكريمة .

٣ـ الفوائد الطبية .

كانت الفوائد الطبية والصحية لبعض الأحجار الكريمة من الأسباب التى دعت العامة والخاصة لاقتناء هذه الأحجار ، وسواء كانت هذه الفوائد الطبية لهذه الأحجار صحيحة أم خاطئة ، فإنها أدت بدورها إلى زيادة الطلب فى اقتناء هذه الأحجار ، هذا مع العلم بأن المصادر المتخصصة فى الجواهر والأحجار الكريمة قد أفاضت كثيراً فى تعدد فوائد هذه الأحجار الطبية ولم تستثن من الأحجار فى هذا المضار إلا القليل .

كان الملوك يتخذون من البلّور أواني ، على اعتقاد أن الشرب فيه له فوائد . [٣]

وكانت هناك العديد من الأحجار الكريمة تدخل فى علاج العيون حسب المعلومات الطبية المتوفرة فى ذلك العصر ، فكان المرجان يدخل فى معالجات العين ويصلب الحدقة [٤] ، أما اللازورد فينفع العين اكتحالاً إذا خلط فى الأكحال[٥] وحجر الكرك ينفع لحكة العين اكتحالاً . [٦] ومن فوائد المرجان أيضاً أنه يقطع نزيف الدم ويقوي القلب ، وينفع من عسر

---

[١] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة السادسة سنة ١٩٩٥م . جـ٥ ص٢٢٥ .

[٢] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٠٠ .

[٣] المغربي : قطف الأزهار . ص٧٩ .

[٤] القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٦ .

[٥] ابن الوردي : خريدة العجائب . ص١٢٦ .

[٦] القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٤ .

البول [١] ، أما العقيق فإن السواك بنحاتته يجلو وسخ الأسنان ورائحتها الكريهة [٢] ، هذا إلى جانب غيرها من الفوائد الطبية الأخرى للعديد من الأحجار الكريمة والتى يضيق المقام عن ذكرها ، ولكنها كانت من الأسباب الهامة لاقتناء هذه الأحجار .

٤ـ الموروث الشعبي .

لم تتوقف أسباب اقتناء الأحجار الكريمة عند حد حسنها وقيمتها المادية أو حتى فوائدها الطبية إن صحت ، بل تعدقا إلى حد بعض الموروثات والمعتقدات الشعبية فى نفع أو ضرر بعض هذه الأحجار الكريمة للإنسان سواء كان من الخاصة أو العامة .

فمن اعتقادات الناس فى بعض هذه الأحجار ، أن كبار الناس كانوا يرغبون فى لبس الفيروزج تفاؤلاً باسمه [٣] ، وكان الفيروزج يسمى أيضاً حجر العين ، لأن حامله يدفع عنه شرها [٤] ، وكان من الاعتقاد السائد فى الياقوت البرهماني أن من لبسه أو تختم به لم تنهشه هوام الأرض ولا بعوضها . [٥]

ونجد المسعودي يقول عن اعتقاد الناس فى حجر الزمرد [٦] : " لا تناكر بين ذوي الدراية بهذا الجوهر ومن عنى بمعرفته أن الحيات والأفاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها إذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها " ، وكان يعتقد بأن من تختم باللازورد نبل فى أعين الناس . [٧]

هذا ولم تقتصر المعتقدات الشعبية على عامة الناس فى الأحجار الكريمة بل تعدقم إلى الملوك وعلية القوم ، فقد كان الفيروزج يسمى أيضاً بالفارسية "النصر" ولذلك يسمى "

---

(١) المصدر السابق : ص١٤١ .

(٢) ابن الوردي : خريدة العجائب . ص١٢٦ .

(٣) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٧٥ .

(٤) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص١١ .

(٥) الزهري : كتاب الجغرافية . ص١٣ .

(٦) مروج الذهب : جـ٢ ص٢٤ .

(٧) القزويني : عجائب المخلوقات . ص١٥٤ .

حجر الغلبة " والملوك تعظم هذا الحجر ، لأنه يدفع القتل عن صاحبه ، ولم ير فى يد قتيل قط، ولا فى يد غريق [١] ، وكان حجر اليشم يسمى أيضاً حجر الغلبة ، ومن أجله جلى الترك سيوفهم وسروجهم ومناطقهم به حرصاً على نيل الغلبة فى القراع والصراع . [٢]

وكانت هناك أيضاً فى المقابل أحجاراً يستخدمها الملوك للانتحار فى ساعة الغلبة ، مثل حجر الماس ، فإن الملوك ترغب فى اقتناء الأحجار الكبار منه لعدمها عند العامة وقلتها ، وتراد أيضاً لمن يقتلون بها أنفسهم متى حصلوا فى قبضة عدو ، وأيقنوا أنه يعذبهم ويهينهم قبل القتل ، فإن الملك إذا اتفق له ذلك ابتلع الفص فمات . [٣]

فئات مشتري الأحجار الكريمة

يتوفر الترف عند العظماء من أرباب الدولة ثم ينقص شيئاً فشيئاً عند من هم أقل منهم فى الجاه إلى أن يبقى منه نصيب لعامة الناس ، وهم وإن لم يكونوا بموضع هؤلاء الملوك من جلالة قدر هم واتساع نعمة عندهم ، أخذوا يمتعون أنفسهم من الطيبات فى جميع وجوهها ، بعد أن تغربوا بالأسفار التى أكسبتهم التجارب وأرقهم العجائب ، وأوجدت لهم التجارات والمكاسب ، فصار الناس من الجهات يقصدونهم بأفخر ما عندهم من جميع الأجناس إلى أن عمرت عندهم الأسواق ... فتطرقوا إلى اقتناء الأشياء للزينة والمباهاة ، كابتياعهم السلاح المنزل بالذهب وتنافسهم فى الجواهر الثمينة والآنية المزخرفة والمتاع الفاخر. [٤]

كانت الجواهر قنية الأكاسرة ، واتسعت الجواهر فى أيام بني أمية ، وامتلأت بها خزائنهم ، ثم فاجأتهم الدولة العباسية ، فأقبلوا على إنمائها والزيادة ولم تزل جواهر الخلافة فى الازدياد إلى أيام المقتدر فقد كان الخلفاء قبل المقتدر يبسطون أيديهم فى الجواهر بقدر لا

---

(١) ابن الإكفاني : نخب الذخائر . ص١١ .

(٢) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٣١٧ .

(٣) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة . ص١٦ .

(٤) جميل المدور : تاريخ العراق فى عصر العباسين . ص٩٧ .

يجحف ولا يلامون عليه [١] ، فقد وجد بنو العباس فى خزائن مروان محمد حين ظفر به بمصر مائدة جزع أرضها بيضاء وفيها خطوط سود وحمر ، سعتها ثلاثة أشبار ، وغلظها أصبعان.[٢]

هذا وقد تمثلت فئات مشتري الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول فى الفئات الاجتماعية الآتية :

١ـ فئة الخلفاء والأمراء :

بداية يجب القول بأن فئة كبيرة من الجواهر التى كان يمتلكها الخلفاء والأمراء فى العصر العباسي الأول ، قد انتقلت إليهم من خزائن بني أمية ، بعد أن تغلبوا عليهم ، فقد انتقل إلى بنى العباس ــ على سبيل المثال ــ حين انتقل الأمر إليهم درة بني أمية العظيمة التى زعم الناس أنهم لم يروا فى عظمها ، ولم يكن فى الضوء والبياض مثلها كذلك . [٣]

وحصل خلفاء العصر العباسي الأول على فئة كبيرة أيضاً من الأحجار الكريمة عن طريق الكنوز والدفائن الخاصة بالأمم السابقة ، خاصة أكاسرة الفرس ، فقد كان فى طبرستان حصن حصين يسمى حصن الطاق ، كان فى قديم الزمان خزانة ملوك الفرس ، وهو نقب فى موضع عالٍ فى جبل صعب المسلك [٤] فوجه أبو جعفر المنصور قائده خالد بن برمك إلى طبرستان لمحاربة الأصبهبذ [*] وكانت الأكاسرة أيام هروبهم من العراق إلى مرو قد أودعوا فى هذا الحصن نفيس أموالهم لصعوبته ، فوجد خالد بن برمك فى خزائنهم من الجواهر

---

[١] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٣٢ ــ ١٣٣ .

[٢] ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٧٩ .

[٣] المصدر السابق : ص١٧٤ .

[٤] القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص٣٥٦ ــ ٣٥٧ .

[*] كانت طبرستان فى الحصانة والمنعة على ما هي عليه ، وكانت ملوك الفرس توليها رجلاً ويسمونه الأصبهبذ ، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الإسلام ، ثم إن الأصبهبذ استطال أيام المنصور ، فأمر خالد بن برمك أن يتولاها ،= = فتولاها خمس سنين وعمل بها العجائب وظفر بخزائن ملوك فارس فى الطاق . ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان . ص٣٠٧ ــ ٣١٠ بتصرف بسيط .

والتيجان والمناطق والسيوف المكللة بالدر والياقوت والزمرد مالا قيمة لـه .[١]

أما عن شراء الخلفاء العباسيين للأحجار الكريمة في العصر العباسي الأول ، فيأتي في مقدمتهم أبو العباس السفاح ، الذى بعث إلى الكعبة المشرفة صحفة خضراء من زبرجد اشتراها بأربعة آلاف دينار [٢] ، وكان فص الخاتم الذى يسمى " البحر " وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين ألف دينار وهو اليوم ــ فى عهد الجاحظ ــ فى خزانة بعض الخلفاء [٣] ، وقد ذكر البيروني أن شراؤه أربعين ألف دينار [٤] ، وقد كثرت الجواهر فى عهد أبي جعفر المنصور ، لدرجة أنه كان قد جعل على حفظهما إحدى جواريه ، فقد كانت جمرة العطارة [*] ، جارية الجوهر فى قصر أبي جعفر المنصور .[٥]

وكان المهدي بن أبي جعفر المنصور من المهتمين بشراء الأحجار الكريمة ، فقد كان الخاتم المعروف بالجبل فصاً من ياقوت أحمر على أقصى النهاية فى النفاسة ، قد اشتراه الخليفة المهدي [**] بثلاثمائة ألف دينار ، ووهبه لابنه الهادي ، ووهب للرشيد الخاتم المعروف بإسماعيل، من زمردة لم ير مثلها ولما استخلف الهادي ، ودخل عليه الرشيد رأى الإسماعيلي فى يده فحسده عليه وأراد أن يقرنه بالجبل [٦] ، فلما وصل الرشيد إلى بغداد سنة ١٧٠هـ/٧٦٨م وبلغ الجسر دعا الغواصين ، وقال : كان المهدي قد وهب لى خاتماً شراؤه

(١) المصدر السابق : ص٣١٤ .
(٢) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٤١ .
(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة . ص١٤ .
(٤) الجماهر فى الجواهر : ص٢٦٧ .
(*) كانت جمرة العطارة ، عطارة أبي جعفر المنصور . الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ٤ ص٥٤١ .
(٥) المصدر السابق : جـ٥ ص٩٢ .
(**) ذكر الجاحظ بأن الذى اشتراه أبو جعفر المنصور بأربعين ألف دينار . التبصر بالتجارة : ص١٣ ــ ١٤ .
(٦) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٣٦ .

مائة ألف دينار ، يسمى الجبل (*) ، فأتاني رسول الهادي يطلب الخاتم وأنا هاهنا ، فألقيته فى الماء ، فغاصوا عليه وأخرجوه ، فسر به . [1]

كان هارون الرشيد شديد المحبة للجوهر [2] ، وذكر البيروني بأن الرشيد سلّم إلى يحى بن خالد جراباً من جواهر ليحفظه [3] ، والجريب عند الجمهور يساوي (٩٧,٩٢ كيلو جرام) [4] ، وهي كمية كبيرة بالفعل وتدلل على مدى حب هارون الرشيد للجواهر وحرصه على اقتناءها .

ولعل خير ما يدلل على أن هارون الرشيد كان من أكثر خلفاء العصر العباسي الأول شراء للأحجار الكريمة ، أن الفضل بن الربيع ــ وزير هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة ــ قال : لما مات الرشيد وولى الخلافة محمد الأمين بعد أبيه فى سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م أمرني أن أحصي ما فى الخزائن فوجدت فيها ... جوهر قوَّمَهُ الجوهريون بأربعة آلاف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار (٤ مليون ونصف دينار) وألف خاتم جوهر.[5]

أما الخليفة المأمون بن هارون الرشيد فقد ورث حب الجواهر عن أبيه ، ومن الروايات التى تدل على اهتمامه بشراء الأحجار الكريمة ، أنه أحضر أصحاب الجوهر فناظرهم على متاع كان معهم ... فاشترى من أحدهم بثلاثين ألف دينار . [6] هذا ولم تقتصر عملية شراء الأحجار الكريمة على خلفاء بنى العباس فقط بل كان لأمراء البيت

(*) ذكر آنفاً بأن اسم هذا الخاتم الإسماعيلي وليس الجبل كما ذكر ابن الأثير والصحيح أن اسمه الإسماعيلي ، لأن البيروني أسبق زمناً من ابن الأثير .

[1] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ٦ ص١٠٧ .

[2] ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٨٠ .

[3] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٦٠ .

[4] د/ علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية . ص٤١ .

[5] ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٤ ــ ١٥ .

[6] الذهبي : سير أعلام النبلاء . جـ١٠ ص٤٦٦ .

العباسي ونساءه نصيباً فى ذلك . من هذا أنه لما ظفر بإبراهيم بن المهدي فى سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م كان فى يده خاتم فصه ياقوت أحمر ، كان شراؤه عشرة آلاف دينار ، وكان مع عيسى بن أبي جعفر المنصور فصاً من ياقوت أحمر [١] ، وذكر آنفاً بأنه كان لأم جعفر زبيدة زوجة الرشيد سبحة من الدر ، كان شراؤها خمسين ألف دينار . [٢]

ومن مقتني الأحجار الكريمة أيضاً أصهار البيت العباسي ، ففي سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م بنى المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل فى رمضان ، فلما دخل إليها نثرت عليها جدتها ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون ، فأمر المأمون بجمعه ، فجمع فأعطاه بوران [٣] ، حيث جاءت جدة بوران بمكتل من ذهب مرصع بجوهر كبار نثر على من حضر من النساء . [٤]

٢ـ فئة كبار رجال الدولة .

إن الجواهر خاصة من آلات الملوك ، فإذا كانت عند غيرهم ممن لا يليق بحاله ، تلونت الظنون فيه ، بأنها إما مسروقة والسارق مطلوب ، وإما متملكة حقاً لمتنكر من الكبار، ومثله مرصود [٥] ، غير أن الغالي من كل صنف من السلع إنما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الأقل . [٦]

كان كبار رجال الدولة ووجهاءها فى العصر العباسي الأول من المهتمين بشراء واقتناء الأحجار الكريمة ، فهم الأقدر على شراءها بعد فئة خلفاء بنى العباس ، هذا فضلاً عن الهدايا والهبات من الأحجار الكريمة والتى كانوا يحصلون عليها من الخلفاء أنفسهم ، فقد بعث الهادي إلى يحى بن خالد البرمكي فآمنه وأعطاه خاتم ياقوت أحمر فى يده [٧] ، وكان

---

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٧٨ .
(٢) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص٢٥٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ٦ ص٣٩٥ .
(٤) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص٩٩ .
(٥) البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٠٠ .
(٦) ابن خلدون : المقدمة . جـ٢ ص٨٥٢ .
(٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ٨ ص٢٠٨ .

جبريل بن بختيشوع بن جرجس ـ أحد أطباء الدولة العباسية فى عهد هارون الرشيد ـ اشترى جواهر وما أعده للذخائر بقيمة خمسمائة ألف دينار [١] ، ولما قدم المأمون بغداد منصرفاً من خراسان ، أهدى إليه الفضل بن الربيع فص ياقوت لم ير مثله [٢] ، فلو لم يكن هذا الوزير لديه القدرة المالية على شراء هذا الفص من الياقوت ، ما أهداه للخليفة .

لما قبض على المازيار [*] وإخوته وأهل بيته وحمل إلى أمير المؤمنين المعتصم سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م ، طلب من المازيار أن يقدم تقريراً عن مقدار ثروته ، فقال المازيار : أشهدوا أن جميع ما حملت من أموالي وصحبني ستة وتسعون ألف دينار ، وسبع عشرة قطعة زمرد ، وست عشرة قطعة ياقوت أحمر ... وتاج وسيف من ذهب وجوهر ، وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر ، وحق كبير مملوء جوهراً [٣] ، وكانت قيمة الحق الكبير المملوء جوهراً ثمانية عشر ألف درهم [٤] (١٨ مليون درهم) ، هذا فضلاً عن سعر الزمرد والياقوت والسيوف والخناجر المكللة بالجواهر ، والتى تشهد على مدى اهتمام كبار رجال الدولة بالأحجار الكريمة وشراءها ، سواء كان هذا الشراء والاقتناء بوجه حق أم لا .

وعندما أمر المعتصم بحبس قائده الأفشين [*] ، وجه سليمان بن وهب الكاتب ليحصي جميع ما فى دار الأفشين ويكتبه ، فوجد فى داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب

---

[١] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . صححه / محمد باسل عيون السود . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م . ص١٧٩ .

[٢] البيروني : الجماهر فى الجواهر . ص١٣٨ .

[*] هو المازيار بن قارن بن بندار هرمس صاحب طبرستان ، كان المأمون قد اصطنعه ، فعصى فى أيام المعتصم ، وكثرت عساكره ، واتسعت جيوشه وكتب إليه المعتصم يأمره بالحضور فأبى ، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بحربه . المسعودي : مروج الذهب . جـ٤ ص٦١ .

[٣] الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ٩ ص٩٦ .

[٤] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ٦ ص٥٠٢ .

[*] الأفشين :هو حيدر بن كاوس حبس الإفشين في سامراء ، وكان حبسه في سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م ، ثم توفى في الحبس ، وصلب على باب العامة بسامراء . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٧٨ .

وعليه حلية كثيرة وجوهر وفى أذنيه حجران أبيضان مشتبكان ، عليهما ذهب [١] ، وهذه الرواية تؤكد أيضاً مدى اهتمام كبار رجال الدولة فى العصر العباسي الأول بالأحجار الكريمة والحرص على اقتناءها .

٣ـ فئة العامة .

ذكر آنفاً فى أسعار الأحجار الكريمة بأن بعضها كانت أسعاره لا تتجاوز الدينار الواحد ، بل إن بعضها كان أقل من نصف دينار ، ولاشك أن هذا السعر الزهيد لهذه الأحجار الكريمة ، كان فى متناول الكثيرين من عامة الناس فى العصر العباسي الأول ، فأقبل عامة الناس على شراءها ، لا لقيمتها المادية ، بل لتطلع النفس البشرية بوجه عام إلى حب مثل هذه الأحجار الكريمة لحسنها وبريقها .

على الرغم من أن اللؤلؤ كان من أغلى الجواهر فى العصر العباسي الأول ــ كما ذكر آنفاً ــ إلا أنه كان منه نوع كان يستعمله الناس جميعاً ، فقد ذكر يحى بن ماسويه بأن اللؤلؤ الذى يستخرج من مغاص سرنديب هو عامة اللؤلؤ المعروف بالدّق الذى يستعمله الناس جميعاً . [٢]

وكان العقيق من الأحجار التى يحرص عامة الناس على شراءه ، يقول الدمشقي عن ذلك [٣] : " إن العقيق من أحسن الجواهر المليحة لولا كثرته ، وهان عند الملوك لاقتدار العامة عليه ، فهم لا يتخذون إلا ما كان حجراً كبيراً قد عملت منه آلة مليحة مثل القدح أو ما جرى مجرى ذلك ، فيقتنى على حكم الاستظراف والوجود ، فإن العامة لا تتمكن من ذلك " .

---

[١] الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ٩ ص١١٤ .
[٢] يحى بن ماسويه : الجواهر وصفاتها . ص٣٦ ــ ٣٧ .
[٣] الإشارة إلى محاسن التجارة : ص١٧ .

ويجرى اللازورد عند الملوك مجرى العقيق ، فلا يتخذ منه إلا ما كان حسن جوهره. [١] وكان الفيروزج أيضاً مما تحرص عامة الناس على شراءه ، يقول الدمشقي أيضاً عن ذلك [٢] : " الفيروزج لا يكاد كثير من الملوك يرغب فى لبسه لأجل أن العامة تكثر من التختم به " .

دور الأحجار الكريمة فى الحياة الاجتماعية

لم تكن الأحجار الكريمة التى حرص الخلفاء وكبار رجال الدولة العباسية على شراءها واقتناءها ، توضع فى خزائن مكنونة للحفاظ عليها وعلى قيمتها فقط ، بل كانت تؤدي دوراً كبيراً فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسي الأول ، وقد تمثل هذا الدور فى المقام الأول فى التعبير عن الأبهة والوجاهة الاجتماعية .

كانت أكبر مظاهر التعبير عن الأبهة والوجاهة الاجتماعية ، تتم فى مراسم الزواج ، وقد ظهر هذا جلياً منذ بداية الدولة العباسية ، فقد تزوج أبو العباس السفاح من أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان معها مال عظيم وجوهر ... فلما دخل عليها من ليلته فإذا هي على منصة ، فصعد عليها ، فإذا كل عضو منها مكلل بالجوهر . [٣]

ولما دخل الرشيد بزوجته زبيدة أم جعفر ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م استعد لها بما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة ، وأصناف الجواهر ، والحلي والتيجان والأكاليل [٤] ، فأعطاها الرشيد بدنة [*] عبدة ابنه عبد الله بن معاوية امرأة هشام بن عبد الملك ، ولم ير فى الإسلام مثلها ومثل الحب الذى كان فيها ، ولا يعرف قيمتها

---

[١] الاشارة الى محاسن التجارة : ص٢٢ .

[٢] المصدر السابق : ص١٦ .

[٣] المسعودي : مروج الذهب . جـ٣ ص٢٧٥ .

[٤] ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص٩١ ــ ٩٢ .

[*] انتقلت البدنة ، المقدم ذكرها إلى عبد الله بن علي حين ظفر ببني أمية ، ثم إلى بنى العباس ثم إلى بنى طاهر . الذخائر والتحف : ص٩٣ .

عظماً، وكان فى ظهرها وصدرها خطان من ياقوت أحمر ، وباقيها من الدر الكبار الذى ليس مثله [١] ، وزينها الرشيد بالحلي حتى لم تقدر على المشي لكثرة ما عليها من الجوهر . [٢]

أما الخليفة المأمون ، فإنه عندما تزوج ببوران بنت الحسن بن سهل ، أعطاها فى مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت [٣] ، وفى يوم البناء بها فرش حصير من ذهب مسفوف ونثر عليه جوهر كثير فجعل بياض الدر يشرق على صفرة الذهب وما مسه أحد ، فوجه الحسن بن سهل ـــ والد العروس ـــ إلى المأمون وقال له : هذا نثار ونحب أن يلقط ، فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء : شرفن أبا محمد ، فمدت كل واحدة منهن يدها ، فأخذت درة ، وبقى باقي الدر يلوح على الحصير الذهب [٤] ، وكان من نساء الخلفاء فى هذه الجلسة زبيدة ـــ زوج الرشيد ـــ وحمدونة بنت الرشيد [٥] ، ويستفاد من هذه الرواية أن نساء الخلافة العباسية لم تغرهن هذه اللآلئ ، لدرجة أنهن لم يمددن أيديهن لأخذ واحدة منها ، إلا بعد أن طلب منهن الخليفة المأمون ذلك إكراماً للحسن بن سهل وهذا يدل على زهدهن فى هذه اللآلئ التى كانت تملأ خزائنهن .

وتتجلى سيادة الخلفاء العباسيين الروحية فى مواكبهم التى تميزت بروعتها ، فيتقدم موكبهم أيام الجُمع والأعياد رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم ويحملون الأعلام ، وكان الخليفة فى تلك المواكب يلبس القباء الأسود ، ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر ، ويلبس قلنسوة [*] مدببة مزينة بجوهرة [١] ، عندما بيع المهدي بالخلافة كان مستوياً على عرش مكلل

---

[١] المصدر السابق : ص٩١ ـــ ٩٢ .

[٢] جميل المدور : تاريخ العراق فى عصر العباسيين . ص٩٥ .

[٣] ابن خلدون : المقدمة . جـ٢ ص١٧٣ .

[٤] ابن الساعي : نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء . تحقيق د/ مصطفى جواد . ط ـــ دار المعارف ـــ لم تذكر سنة الطبع . ص٧٠ .

[٥] الثعالبي : لطائف المعارف . ص٧٣ .

[*] القلنسوة : هي ما يلف على الرأس تكويراً مثل العمامة . د/ محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية . ص٤٦٦ .

باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر وعلى يمينه ويساره غلامان قد التحفا بالذهب ، ووقفا بمظلتين من الريش الأسود مرفوعتين على رمحين مكسوين بعروق من الذهب ، قد نزل فيها الياقوت والزبرجد والفيروز ، وكان على يمين العرش منبر مزخرف بأنواع الزينة والجواهر والديباج .[٢]

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان الذى كان للعباسة أخت الرشيد جلس فيه هو وجميع أهل بيته وأصحابه .. فجلس على سرير مرصع بالجوهر وأنواعه وألوانه ووضع على رأسه التاج الذى فيه الدرة اليتيمة [٣] ، وكان للخليفة العباسي الواثق قبّة مرتفعة فى السماء بيضاء ، وفى وسطها ساج منقوش مغشي باللازورد والذهب ، كانت تسمى قبة المنطقة .[٤]

إلى جانب استخدامات الأحجار الكريمة فى مظاهر الزواج ومراسم الجلوس على عرش الخلافة ، كانت الأحجار الكريمة تستعمل فى الأدوات الشخصية ، فقد أمر محمد بن هارون الرشيد يوماً أن يفرش له على دكان فى الخُلد ، فبسط له عليه بساط ، وطرحت عليه نمارق ، وفرش مثله ، وهيئ له من آنية الفضة والذهب والجوهر أمر عظيم [٥] ، واصطنعت زبيدة خفاً مرصعاً بالجوهر ، كما اصطنعت بساطاً من الديباج جميع صورة كل حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كل طائر من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر ، يقال إنها أنفقت عليه نحواً من ألف ألف دينار [٦] (مليون دينار) .

ومن الأدوار الهامة للأحجار الكريمة فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسي الأول ،

---

(١) د/ أمينة البيطار : تاريخ العصر العباسي . ص٣٥٧ .
(٢) جميل المدور : تاريخ العراق فى عصر العباسيين . ص٦٦ .
(٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٢٩ .
(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ٩ ص١٢٥ .
(٥) المصدر السابق : جـ٨ ص٥١٢ .
(٦) جميل المدور : تاريخ العراق فى عصر العباسيين . ص٩٥ .

أنها كانت تستخدم في الهدايا من وإلى الخلفاء وكبار رجال الدولة ، فقد أهدى بعض ملوك الهند إلى الرشيد هدايا جليلة في جملتها قضيب زمرد أطول من الذراع ، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر ، لا قدر له من النفاسة ، فوهبه لأم جعفر زبيدة بنت جعفر زوجته ، وانتقل إلى الأمين ، ثم إلى أخيه المأمون ، ثم صار إلى المعتصم بعدهما ، وكانت قيمة طائر الياقوت الأحمر الذى على رأس القضيب مائة ألف دينار . [١]

مضى هارون الرشيد إلى الري سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م ، فأقام بها نحواً من أربعة أشهر حتى قدم عليه علي بن عيسى بن ماهان ـ واليه على الري ـ بالأموال والهدايا والطُرف من المتاع والمسك والجواهر وآنية الذهب والفضة ، وأهدى بعد ذلك إلى جميع من كان معه من ولده وأهل بيته وكتابه وخدمه وقواده على قدر طبقاتهم ومراتبهم . [٢] وكانت هداياهم من الطرف والهدايا وغير ذلك . [٣]

وأهدى (دهمى) ملك الهند إلى عبد الله المأمون ، جام ياقوت أحمر فتحه شبر فى غلظ الأصبع ، مملوء دراً ، وزن كل درة مثقال والعدة مائة درة ، ومصليات ثلاثة بوسائد من ريش طائر يقال له السمندل [*] ، إذا طرحت فى النار لم تحترق ، وفراوزها در وياقوت أحمر . [٤]

هذا عن الهدايا التى كانت تأتي إلى الخلفاء من الأحجار الكريمة وأشكالها التى شكلت فيها ، أما عن هدايا الخلفاء إلى غيرهم ، فمنها أن الخليفة المهدي لما ولى الخلافة أعطى الدرة العظيمة التى وجدت فى خزائن بنى أمية ، لحسنة جاريته فخرطتها فصين

---

[١] ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص٢٠ ـ ٢١ .

[٢] الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ٨ ص٣١٦ .

[٣] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ٦ ص١٩١ .

[*] السمندل : حيوان كالفأر يدخل النار ولا يحترق ويخرج والنار قد أزالت وسخه ، يتخذ من جلده مناديل الغمر للملوك ، فإذا توسخت تلقى فى النار يزول وسخها . القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٤٣٠ .

[٤] ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص٢١ ـ ٢٥ .

للنرد[١]، ولما ملك محمد الأمين قسم ما فى بيوت الأموال وما بحضرته من الجواهر فى خصيانه وجلسائه ومحدثيه ، وحمل إليه ما كان فى الرقة من الجواهر والخزائن والسلاح [٢] ، وقام المأمون برد الهدية لدهمى ملك الهند ، وكانت الهدية فارساً بفرسه وجميع آلاته من عقيق [٣] ، ووهب المأمون للحسن بن سهل عقداً قيمته ألف ألف درهم ومائة ألف درهم وستة عشر ألف درهم [٤] (مليون و ١١٦ ألف درهم) .

وقد بلغ من كثرة الأحجار الكريمة فى عهد الخليفة المأمون أن جواريه كن يهدين الجوهر لبعضهن البعض على الرغم من ارتفاع أسعارها ، فقد أهدت مؤنسة جارية المأمون إلى إحدى صديقاتها من الجواري ، بعلم المأمون مخنقة ــ قلادة ــ واسطتها درة مثل بيضة العصفور ، قيمتها عشرة آلاف دينار ، وأربعة أحجار ياقوت أحمر ، وأربعة أحجار زمرد عن يمينها وشمالها بين فرائد ذهب . [٥]

كانت الأحجار الكريمة تستخدم فى مكافأة القادة العباسيين على ما قاموا به من مجهودات حربية ، فعندما قضى الأفشين على حركة بابك الخرمى فى خلافة المعتصم ، حمل إليه دُرّاعة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب والجواهر ، وقلنسوة عظيمة نظم عليها كثير من اللؤلؤ والجوهر ... وتوج بتاج من الذهب مرصع بالجوهر ، وإكليل ليس فيه من الجوهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب . [٦]

ومن باب إتمام الفائدة أن نذكر بأن الأحجار الكريمة كان لها دور أساسي فى بعض الصراعات السياسية التى شهدها العصر العباسي الأول خاصة فى أحداث الفتنة بين الأمين

---

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف : ص١٧٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . جـ٨ ص٥٠٨ ــ ٥٠٩ .

(٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص٢٧ .

(٤) شيخ الربوة : نخبة الدهر . ص٨٦ .

(٥) ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٨ ــ ١٩ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب . جـ٤ ص٥٩ .

والمأمون ، إذ عندما اشتد الخلاف بين الأمين والمأمون وجه محمد الأمين إلى أم عيسى بنت موسى الهادي امرأة المأمون فى بغداد يطلب منها جوهراً كان عندها للمأمون ، فمنعته ، وقالت : ما عندي شئ أملكه ، فوجه من هجم منزلها ، فانتهب كل ما فيه ، وأخذ ذلك الجوهر [١] ، وكانت قيمة الجوهر الذى سلم من النهب ببغداد بعدما فرقه محمد الأمين ووهبه، وقدمت به جمرة العطارة صاحبة خزانة الجوهر على المأمون بمرو ، بعد فتنة الأمين ــ على ما ثبت فى الرقاع الموجودة عليه ــ ألف ألف ألف ومئة ألف ألف وستة عشر ألف ألف درهم [٢] (مليار و١١٦ مليون درهم) ، وهو مقدار مبالغ فيه ، إلا أنه يثبت مقدار ثروة الخلافة العباسية من هذه الأحجار ، كما يفسر السبب فى تأكيد المصادر التاريخية على كثرة الأحجار الكريمة فى عهد المأمون بالذات .

---

[١] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي . جـ٢ ص٤٣٦ .

[٢] ابن الزبير : الذخائر والتحف . ص١٨٤ .

الخاتمة

من خلال ما سبق ذكره عن الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول يمكن أن نخلص بأهم النتائج الآتية :

١ـ تبين من خلال البحث أن الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول كانت متعددة الأسماء ، بل إن الحجر الكريم الواحد ، كان له عدة أسماء ، وأن بعضها كان أوسع انتشاراً وأهمية من البعض الآخر .

٢ـ أظهرت الدراسة بأن عدد أماكن تواجد الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول قد بلغت خمسين موضعاً على وجه التقريب ، وأن البلدان الإسلامية قد استحوذت على نسبة ٦٤% من عدد البلدان المتواجد بها هذه الأحجار ، وهذا يؤكد على أن الأحجار الكريمة كانت سعلة إسلامية خالصة فى العصر العباسي الأول .

٣ـ وضح من خلال البحث بأن طرق استخراج الأحجار الكريمة كانت متعددة ومختلفة باختلاف طبيعة الحجر الكريمة ذاته ، وأن عملية الاستخراج هذه كان يعمل بها الكثير من الأيدي العاملة ، وكذلك عملية صناعتها وتشكيلها ، مما يفيد بأنها كانت تعمل على المساهمة فى القضاء على ما يعرف بمشكلة البطالة الآن .

٤ـ أبان البحث بأن الأحجار الكريمة لم يكن لها أسماء متعددة فقط ، بل كان لها ألوان متعددة أيضاً ، وأن الحجر الواحد له عدة ألوان ، ومع ذلك كان القائمون على التجارة فيها فى بلدان العالم الإسلامي يستطيعون التمييز بينها وتقدير أسعارها ، وهذا يدل على مدى براعتهم فى هذا المضمار .

٥ـ كشفت الدراسة عن أن الألماس الذى يعد من أغلى الأحجار الكريمة فى الوقت الحالي ، كان رخيص الثمن فى العصر العباسي الأول ، وأن سعره الذى ذكرته المصادر التاريخية ، لا يتوافق مع ما له من شهرة فى الماضي والحاضر وربما يكون السبب فى ذلك هو كثرته فى ذلك العصر ، خاصة مع كثرة الأحجار الكريمة عموماً فى عهد الخليفة المأمون .

٦ـ وضح من خلال البحث بأن عملية التجارة فى الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول مرت بما يعرف الآن بعملية الاستيراد والتصدير فى التجارة المحلية والعالمية فى السلع ، وأن تجارة الأحجار الكريمة كانت لها أسواق مخصوصة فى بلدان معينة فى داخل العالم الإسلامي وخارجه .

٧ـ تبين من الدراسة بأن عملية الغش فى الأحجار الكريمة من الظواهر التى شهدها العصر العباسي الأول ، وأن عملية الغش والتدليس هذه قد وقع فيها بعض الخلفاء أنفسهم ، وفى مقدمتهم الخليفة العباسي المهدي .

٨ـ أظهرت الدراسة بأن أسباب اقتناء الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول كانت متعددة ، وكان منها جمال وروعة هذه الأحجار ، هذا فضلاً عن القيمة المادية لبعض هذه الأحجار مثل اللؤلؤ ، كما كان لبعض الفوائد الطبية لهذه الأحجار العامل الأكبر فى الحصول عليها ، بالإضافة لبعض الموروثات الشعبية والمعتقدات فى نفع أو ضر بعض هذه الأحجار للإنسان عموماً .

٩ـ كشفت الدراسة بأن فئات مشتري الأحجار الكريمة فى العصر العباسي الأول قد تمثلت فى الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة ، كما كان للعامة حظاً فى ذلك بسبب كثرة الأحجار الكريمة فى ذلك العصر ورخص أسعار الكثير منها .

١٠ـ أبان البحث عن أن هذه الأحجار الكريمة كان لها استخدامات عدة فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسي الأول ، مثل المباهاة والتفاخر بها فى المناسبات الاجتماعية مثل حفلات الزواج ، وحفلات الجلوس على كرسي الخلافة والمواكب وغيرها .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

ـ الحلبي : عمر بن أحمد الشماع الحلبي . ت٩٣٦هـ .

١ـ سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار . مخطوط بجامعة الملك سعود ـ المملكة العربية السعودية . تحت رقم ٥٤٩ ـ س ٥ ش .

ثانياً : المصادر العربية والمعربة :

ـ الأبشيهي : محمد بن أحمد الأبشيهي . ت ٨٥٠هـ .

١ـ المستطرف فى كل فن مستظرف . شرحه د/ مفيد قميحة . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

ـ ابن الأثير : علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير . ت ٦٣٠هـ

٢ـ الكامل فى التاريخ . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ١٩٩٥م .

ـ الأصطخرى : إبراهيم بن محمد الأصطخرى . ت: النصف الأول من القرن ٤هـ .

٣ـ مسالك الممالك . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

ـ ابن أبي أصيبعة : أحمد أبو القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة . ت ٦٦٨هـ .

٤ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . صححه / محمد باسل عيون السود . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

ـ ابن الإكفاني : محمد بن إبراهيم بن الإكفاني . ت ٧٤٩هـ .

٥ـ نخب الذخائر فى أحوال الجواهر . تحقيق أنستاس الكرملى . ط ـ القاهرة سنة ١٩٣٩م .

ـ البيروني : محمد بن أحمد البيروني . ت ٤٤٠هـ .

٦ـ الجماهر فى معرفة الجواهر . تحقيق / يوسف الهادي . ط ـ شركة النشر العلمي ـ طهران ـ إيران ـ الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

ـ التاجر : سليمان التاجر . كان حياً سنة ٢٣٧هـ .

٧ـ عجائب الدنيا وقياس البلدان . تحقيق د/ سيف شاهين المريخي . ط ـ مركز زايد للتراث ـ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .

ـ الثعالبي : عبد الملك بن محمد الثعالبي .

٨ـ لطائف المعارف . ط ـ بريل ـ ليدن ـ هولندا سنة ١٨٦٧م .

ـ الجاحظ : عمرو بن بحر الجاحظ .

٩ـ التبصر بالتجارة . تحقيق / حسن حسني التونسي . ط ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٩٤م .

ـ ابن الجوزى : عبد الرحمن بن علي بن الجوزى . ت ٥٩٧هـ .

١٠ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ .

ـ الحموي : ياقوت بن عبد الله الحموي . ت ٦٢٦هـ .

١١ـ معجم البلدان . ط ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

ـ ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبي .

١٢ـ صورة الأرض . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

ـ ابن خرداذبه : عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه .

١٣ـ المسالك والممالك . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون . ت ٨٠٨هـ .

١٤ـ المقدمة . تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي . ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٦م .

ـ الخوارزمي : محمد بن أحمد الخوارزمي . ت٣٨٠هـ .

١٥ـ مفاتيح العلوم . تحقيق / فان فلوتن . ط ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة سنة ٢٠٠٤م . سلسلة الذخائر . رقم (١١٨) .

ـ الدمشقي : جعفر بن علي الدمشقي . كان حياً سنة ٥٧٠هـ .

١٦ــ الإشارة إلى محاسن التجارة . ط ــ مطبعة المؤدي سنة ١٣١٨هــ .

ــ الذهبي : محمد بن أحمد الذهبي . ت ٧٤٨هــ .

١٧ــ سير أعلام النبلاء . تحقيق / شعيب الأرناؤوط . ط ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت سنة ١٩٩٣م

ــ الرام هرمزى : بزرك بن شهريار الرام هرمزى .

١٨ــ عجائب الهند بره وبحره وجزايره . ط ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٠٨م.

ــ ابن رسته : أحمد بن عمر بن رسته .

١٩ــ الأعلاق النفيسة . ط ــ دار صادر ــ بيروت ــ لم تذكر سنة الطبع .

ــ ابن الزبير : القاضي الرشيد بن الزبير . (القرن ٥هــ) .

٢٠ــ الذخائر والتحف . تحقيق د/ محمد حميد الله . ط ــ دائرة المطبوعات . الكويت سنة ١٩٥٩م .

ــ الزهري : محمد بن أبي بكر الزهري . ت . أواسط القرن ٦هــ .

٢١ــ كتاب الجغرافية . تحقيق / محمد حاج صادق . ط ــ مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة لم تذكر سنة الطبع .

ــ ابن الساعي : علي بن أنجب المعروف بابن الساعي . ت ٦٧٤هــ .

٢٢ــ نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء . تحقيق د/ مصطفى جواد . ط ــ دار المعارف ــ لم تذكر سنة الطبع .

ــ السيرافي : أبو زيد الحسن السيرافي . كان حياً سنة ٣٠٢هــ .

٢٣ــ رحلة السيرافي . تحقيق / عبد الله الحبشي . ط ــ المجمع الثقافي ــ أبو ظبي ــ الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٩٩م .

ــ شيخ الربوة : محمد أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة .

٢٤ــ نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر . ط ــ مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ــ بطرسبورغ سنة ١٨٦٥م .

ـ الطبري : محمد بن جرير الطبري . ت ٣١٠هـ .

٢٥ـ تاريخ الرسل والملوك . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . ط ـ دار المعارف ـ لم تذكر سنةالطبع .

ـ ابن العبري : غريغوريوس بن أهرون . المعروف بابن العبري . ت : ٦٨٥هـ .

٢٦ـ تاريخ الزمان . تعريب / إسحق أرملة . ط ـ دار المشرق ـ بيروت سنة ١٩٩١م.

ـ الغزولي : علاء الدين بن عبد الله الغزولي .

٢٧ـ مطالع البدور فى منازل السرور . ط ـ مطبعة إدارة الوطن ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٢٩٩هـ .

ـ ابن الفقيه : أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه .

٢٨ـ مختصر كتاب البلدان . ط ـ بريل ـ ليدن ـ هولندا سنة ١٣٠٢هـ .

ـ القزويني : زكريا بن محمد القزويني . ت ٦٨٢هـ .

٢٩ـ آثار البلاد وأخبار العباد . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

٣٠ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . ط ـ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ـ الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .

ـ القنوجي : صديق بن حسن القنوجي . ت ١٣٠٧هـ .

٣١ـ أبجد العلوم . تحقيق / عبد الجبار زكار . ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة ١٩٧٨م .

ـ ابن ماسويه : يحى بن ماسويه . ت ٢٤٣هـ .

٣٢ـ الجواهر وصفاتها وفى أي بلد هي ، وصفة الغواصين والتجار . تحقيق د/ عماد عبد السلام رؤوف . ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م .

ـ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي . ت ٣٤٦هـ .

٣٣ـ أخبار الزمان . ط ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

٣٤ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . ط ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة ١٩٧٣م .

ـ المغربي : أحمد بن عوض المغربي .

٣٥ـ قطف الأزهار فى خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار . تحقيق / بروين بدري توفيق . ط ـ خزانة التراث ـ بغداد ـ لم تذكر سنة الطبع .

ـ المقدسي : أبو عبد الله محمد المقدسي .

٣٦ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع.

ـ المناوي : محمد عبد الرؤوف المناوي . ت ١٠٣١هـ .

٣٧ـ التوقيف على مهمات التعاريف . تحقيق د/ محمد رضوان الداية . ط ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

ـ ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . ت ٧١١هـ .

٣٨ـ لسان العرب ـ ط ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

ـ ابن الوردي : سراج الدين عمر بن الوردي .

٣٩ـ خريدة العجائب وفريدة العجائب . ط ـ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة سنة ١٣٤١هـ .

ـ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي .

٤٠ـ تاريخ اليعقوبي . ط ـ دار صادر ـ بيروت ـ لم تذكر سنة الطبع .

المراجع العربية والمعربة :

ـ البيطار : أمينة البيطار (دكتورة)

١ـ تاريخ العصر العباسي . ط ـ منشورات جامعة دمشق ـ سوريا ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٧م .

ـ جمعة : علي جمعة (دكتور)

٢ـ المكاييل والموازين الشرعية . ط ـ القدس للنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١م .

ــ الدوري : عبد العزيز الدوري (دكتور)

٣ــ تاريخ العراق الاقتصادي فى القرن الرابع الهجري . ط ــ مركز دراسات الوحدة العربية ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥م .

ــ زيدان : جرجى زيدان :

٤ــ تاريخ التمدن الإسلامي . ط ــ دار الهلال ــ القاهرة ــ لم تذكر سنة الطبع .

ــ عمارة : محمد عمارة (دكتور)

٥ــ قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية . ط ــ دار الشروق ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م .

ــ قمر : محمود قمر (دكتور)

٦ــ دور البحرين فى الملاحة والتجارة البحرية من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية . ط ــ دار عين ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م .

ــ المدور : جميل نخلة المدور .

٧ــ تاريخ العراق فى عصر العباسيين . ط ــ دار الآفاق العربية ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م .

ــ هايد : ف . هايد .

٨ــ تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى . ترجمة / أحمد رضا . ط ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م .